ISSN: 2090 – 0449 Online
Universal Impact Factor (UIF), 2015.
Impact Factor for Arabic Scientific Journals, 2016.

الحياة الاقتصادية في المغرب الأوسط
من خلال الكتابات الجغرافية العربية

خديجة بورملة
باحثة دكتوراه في التاريخ الوسيط
قسم التاريخ وعلم الآثار
جامعة وهران – الجمهورية الجزائرية

مُلَخّصْ

تشكل كتب الجغرافيا مادة مصدرية هامة لدراسة تاريخ المغرب الإسلامي عمومًا، وتاريخ المغرب الأوسط على وجه الخصوص، فقد اهتم الجغرافيون بوصف مدنه وأقاليمه، وكذا وصف الحياة الاقتصادية والاجتماعية للسكان، إلا أن الجانب الاقتصادي بالذات حظي بعناية كبيرة من طرف الجغرافيين، حيث تشتمل المصادر الجغرافية على أوصاف ثمينة وقيمة تمس الاقتصاد مباشرة وبجميع مجالاته، وبالتالي يمثل هذا النوع من التأليف مصدرًا لا غنى عنه لدراسة الأحوال الاقتصادية لبلاد المغرب. إن ما تطرقت إليه كتب الجغرافيا من خلال الأوصاف التي قدمها الجغرافيون العرب لمدن وقرى المغرب الأوسط، تدل على أنها تحتوي على معلومات هامة عن الحياة الاقتصادية بهذه البلاد، فقد تضمنت كتاباتهم الحديث عن الزراعة والمحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية والسمكية، والصناعات والحرف المشهورة، وكذا التجارة والأسواق التجارية، وأهم طرق النقل التي تربط مدن المغرب الأوسط فيما بينها، والمغرب الأوسط وما جاوره من البلدان.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث:	١٦	يناير	٢٠١٥
تاريخ قبول النشر:	٢٤	مايو	٢٠١٥

كلمات مفتاحية:
كتب الجغرافيا، المغرب الأوسط، المنتجات الفلاحية، المكاييل والموازين ، المراكز التجارية

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:
خديجة بورملة. "الحياة الاقتصادية في المغرب الأوسط من خلال الكتابات الجغرافية العربية".- دورية كان التاريخية.- العدد الرابع والثلاثون؛ ديسمبر ٢٠١٦. ص٩١ – ١١٠.

مُقَدِّمَة

تشير العديد من الدراسات [1] إلى الأهمية الكبيرة التي تكتسيها كتب الجغرافيا العربية[2] في التعرف على مظاهر الحضارة الإسلامية في العصر الوسيط، وعلى الرغم مما تحويه هذه المصادر من معلومات قيمة تمس الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، إلا أن مجمل الأبحاث الحديثة لا تزال تستخدمها كمصادر ثانوية تستفيد منها أثناء التعريف بمنطقة أو مدينة معينة، فمن المؤكد أن الجغرافيين ركزوا اهتمامهم على التعريف بالمناطق التي درسوها من ناحية الموقع والمظاهر التضاريسية والإنتاج النباتي والحيواني والمعدني، وكذا النشاطات المختلفة للسكان، إلا أنهم في غالب الأحيان يتوسعون في إيراد معلومات أخرى تكون في غاية الأهمية بالنسبة للمؤرخ، قادرة على الإجابة عن كثير من الأسئلة وفي مختلف المجالات، وبالتالي تشكل كتب الجغرافيا مادة مصدرية يجب استغلالها في دراسة تاريخ المغرب الإسلامي عمومًا والمغرب الأوسط على وجه الخصوص.

وموضوع "الحياة الاقتصادية في المغرب الأوسط من خلال الكتابات الجغرافية العربية" يدخل ضمن هذا الإطار، أي دراسة للأوضاع الاقتصادية بالمغرب الأوسط من خلال نصوص مصدرية معينة تتمثل في كتب الجغرافيا، ومن هنا فإن الاعتماد على هذه النصوص لرسم صورة المغرب الأوسط الاقتصادية يعتبر موضوعًا في غاية الأهمية، فهذا النوع من المصادر – بخلاف المصادر الإخبارية التي تؤرخ مباشرة للدول والحكام وتهتم بالجانب السياسي أكثر من غيره من الجوانب – تحتوي على

مادة تاريخية تمس بصفة مباشرة الحياة العامة في المغرب الأوسط، وهي المواضيع التي تتجه نحوها الدراسات الحديثة باعتبار أن المواضيع السياسية والعسكرية أصبحت مستهلكة.

ثم إن اختيار هذا الموضوع بالذات راجع لأنه يشكل من جهة مجالا واسعا للدراسة، ومن جهة أخرى لم يعط لهذا النوع من المصادر حقها من البحث والاستقصاء، مع احتوائها على معلومات تاريخية قادرة على سد الكثير من الثغرات الموجودة في المصادر الإخبارية خاصةً فيما يتعلق بالحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، كما أن هذا الموضوع يطرح العديد من الإشكاليات لعل أهمها: ما هي الصورة التي وضعها الجغرافيون العرب لاقتصاد المغرب الأوسط من خلال كتاباتهم ونصوصهم؟ أو بصيغة أخرى: ما هو حظ الجانب الاقتصادي في التأليف الجغرافي؟ وهذه الإشكالية تتفرع عنها العديد من الأسئلة منها: ما هي الأوصاف التي أعطتها كتب الجغرافيا للحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط؟ وما هي الجوانب التي مستها هذه المصادر بالدراسة من هذا المجال؟ وهو ما يقودنا إلى طرح سؤال آخر هو: إلى أي حد يمكن لهذه المصادر أن تساعدنا في رسم صورة الحياة الاقتصادية في المغرب الأوسط؟

وعلى الرغم مما تزخر به هذه المصادر من معلومات قيمة حول تاريخ المغرب الأوسط إلا أن الدراسات حولها لا تزال قليلة ولم تحظ بدراسة موسعة من قبل الباحثين والمؤرخين المهتمين بتاريخ المغرب الإسلامي عامة؛ من بين الدراسات التي اهتمت بالموضوع الكتاب الجماعي الذي أصدره المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر ١٩٥٤ والمعنون بـ: "تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر"، ففي الفصلين السابع والثامن: "المغرب الأوسط في كتابة الرحالة والجغرافيين العرب" و"أوصاف الجزائر في كتابة أبي عبيد البكري"، يعرفنا الدكتور خلف محمد نجيب بتاريخ المغرب الأوسط من خلال أعمال بعض الجغرافيين نذكر منهم: ابن حوقل وكتابه "صورة الأرض"، وابن خرداذبة وكتابه "المسالك والممالك"، والبكري وكتابه "المسالك والممالك"، وعلى الرغم من أهمية هذه الفصول إلا أنها لا تتعرض بالدراسة إلى مصادر جغرافية مهمة جدا مثل كتاب الإدريسي، كتاب الاستبصار والمعاجم الجغرافية مثل كتاب الحموي والحميري، كما أنها تركت المادة التاريخية المستخرجة من نصوص هذه المصادر دون تصنيف.

وبالإضافة إلى هذه الدراسات توجد دراسة أخرى قام بإعدادها الطالب علوي مصطفى في إطار تحضير مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، والتي تحمل عنوان: "صورة المغرب الأوسط في كتابات الرحالة والجغرافيين المغاربة، ما بين القرنين (السابع والتاسع الهجريين/ الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين)، وهي محاولة جادة لكتابة تاريخ المغرب الأوسط خصوصًا خلال فترة حكم الدولة الزيانية، وذلك من خلال نصوص مصدرية معينة، لكن ما يلاحظ عليها هو غلبة الجانب السياسي على بقية الجوانب الأخرى. تشير كتب الجغرافيا في العديد من النصوص إلى غنى إقليم المغرب الأوسط من الناحية الاقتصادية، وهذا راجع إلى ما يزخر به هذا الأخير من الموارد الطبيعية والزراعية والمعدنية، حيث تُعَدّ غنية من الناحية الفلاحية بما تنتجه من محاصيل زراعية متنوعة وثروة حيوانية كبيرة، ومن الناحية الصناعية بما لديها من مواد أولية معدنية وخشبية تمول الكثير من الصناعات والحرف، وهذا الإنتاج الكبير هو الذي جعل منها سوقًا ومركزًا تجاريًا كبيرًا.

أولاً: الزراعة ومصادر المياه

تشير النصوص الجغرافية إلى أن بلاد المغرب الأوسط احتوت على العديد من المناطق ذات الإنتاج الزراعي الكبير، وهذا بفضل سلسلة من الأنهار والأودية الموجودة في المنطقة.

١/١- موارد المياه:

غالبًا ما تتحدث كتب الجغرافيا عن مصادر المياه ببلاد المغرب الأوسط من أنهار وأودية وأعين وينابيع ماء، ولم يخل أي وصف لمدينة أو قرية من الحديث عن مصدر الماء الموجود بها، وهو أمر لا يرتبط بالزراعة فقط بل يرتبط بالشرب أيضًا، فكلما ذكر جغرافي أو رحالة مدينة من مدن هذه البلاد إلا وذكر منبع الماء الذي تعتمد عليه في حياتها. يمكن تعداد الأنهار والأودية الكبيرة في المغرب الأوسط حسب المصادر الجغرافية على الشكل التالي:

وادي مُلّاق: من الأودية المشهورة والذي يسقي العديد من أراضي مدن المغرب الأوسط، حيث أشار إليه العديد من الجغرافيين العرب[3]، من بينهم البكري الذي يقول عنه: «... وهو نهر عظيم يسقي نواحي فحص بُل».[4]

وادي سهر: يسقي هذا النهر العديد من الأراضي الزراعية، من بينها أراضي مدينة المسيلة التي اتفق الجغرافيون المسلمون[5] على أنها ذات إنتاج فلاحي كبير بفضل مياه هذا النهر، الذي ينبع من عيون داخل مدينة تسمى مدينة الغدير[6]. يقول ابن حوقل عن هذه المدينة: «ومن مقره إلى المسيلة مرحلة، وهي مدينة محدثة... ولها واد يقال له وادي سهر فيه ماء عظيم منبسط على وجه الأرض وليس بالعميق، ولهم عليه كروم وأجنة كثيرة تزيد على كفايتهم وحاجتهم...».[7]

وادي بجاية: يُعَدّ من بين الأودية العظيمة بالمغرب الأوسط، أشار إليه معظم الجغرافيون العرب[8]، حتى أن المراكشي[9] ذكره ضمن الأنهار العظام التي بالمغرب وسماه الوادي الكبير،[10] وهو على بعد ميل من مدينة بجاية يأتيها من جهة المغرب من نحو جبال جرجرة.[11]

وادي شلف: من الأودية التي تسقي أراضي العديد من مدن المغرب الأوسط، منها مدينة شلف [12]، مليانة [13]، الخضراء [14]، سوق ابراهيم [15]، مستغانم [16] وغيرها.

وادي تناتين: وادي بالقرب من مدينة تنس[17]، «... يأتيها من جبل على مسيرة يوم فيأتيها من القبلة ويستدير بها من جهة الجوف والشرق، ويريق في البحر...»[18].

وادي مينا: هو الوادي الذي يسقي أراضي منطقة تيهرت [19]، ويأتيها من جهة القبلة [20].

نهر سيرات: يجري هذا النهر تحت قلعة هوارة بالقرب من تيهرت[21]، «وهي قلعة منيعة في جبل خصيب ... وتحتها فحص طوله نحو أربعين ميلا يشقه نهر سيرات ويسقي أكثر أرضه، يسمى ذلك الفحص سيرات باسم النهر. ونهر سيرات نهر كبير مشهور يقع في البحر عند مدينة أزواوا...».[22]

نهر سطفسيف: هو النهر الذي يمر بمدينة تلمسان[23]، يقول عنه البكري: «وفي الشمال من تلمسان منزل يسمى باب القصر فوقه جبل يسمى جبل البغل ينبعث من أسفله نهر سطفسيف، ويصب في بركة عظيمة من عمل الأول... ثم ينبثق منها بحكمة مدبرة إلى موضع يسمى المهماز، وإلى ولج الحناء إلى جنان الحاج حتى يصب في نهر أسر، ثم ينصب في نهر تافنا، وهو نهر يصل إلى مدينة أرشقول، وهناك ينصب في البحر...».[24]

وادي التافنا: هو الوادي الذي يمر بمدينة أرشقول[25]، وهي «مدينة في ساحل تلمسان من أرض المغرب بينهما فحص طوله خمسة وعشرون ميلا، ومدينة أرشقول على نهر تافنا يقبل من قبليها ويسير بشرقيها، تدخل فيه السفن اللطاف من البحر إلى المدينة وبينهما ميلان...».[26]

وادي بسكرة: هو الوادي الذي يشق مدينة بسكرة ويسقي أكثر أراضيها[27]، حيث يقول صاحب كتاب الاستبصار عن هذا الوادي: «... ويشق غابة بسكرة نهر كبير ينحدر من جبل أوراس يسقي بساتينها ونخلها، وهو نحو ستة أميال في غابة متصلة بالمدينة يشق غابتها وقراها».[28]

وبالإضافة إلى هذه الأودية الكبيرة المشهورة في المغرب الأوسط، توجد أودية أخرى تطرقت إليها الكتابات الجغرافية لا يمكن حصرها جميعا، بحيث لا تكاد تخلو مدينة أو قرية من مصدر للمياه تعتمد عليه في سقي أراضيها الزراعية، لم يتسع المقام لذكرها جميعا مثل: بونة [29]، وقسنطينة [30]، ومتيجة [31]، ومدنبنطيوس[32]، وفكان[33]، ووهران[34]، وهذه المدن وغيرها اتفقت جميع المصادر على أنها ذات إنتاج فلاحي وفير بفضل وفرة المياه وتنوع مصادرها، لكن الملاحظ أن هذه الكتب بخلت علينا بتوضيح الكيفية التي من خلالها يتم استغلال المياه، والطريقة المستخدمة لسقي الأراضي الزراعية، هل كانت عن طريق قنوات مغلقة أو سواقي مكشوفة؟ بالإضافة إلى استغلال جريان الأودية والأنهار في طحن الحبوب وعسر الزيتون وغيرها من النشاطات المرتبطة بالمياه، وبالتالي فإن هذه المصادر اكتفت بتعداد مصادر المياه التي تستفيد منها الزراعة، وانتقلت مباشرة إلى تعداد المحاصيل الزراعية التي تشتهر بها كل منطقة أو مدينة.

٢/١- المحاصيل الزراعية:

تدل المعلومات التي أوردتها كتب الجغرافيا على أن بلاد المغرب الأوسط هي بلاد ذات إنتاج زراعي وافر، تتنوع فيها المحاصيل الزراعية من منطقة إلى أخرى، حتى أن كل مدينة من مدنه بالإضافة إلى اشتهارها بإنتاج مادة معينة، تقوم بإنتاج مواد زراعية مختلفة، ومن هنا نحاول تصنيف المنتجات الفلاحية لبلاد المغرب الأوسط على الشكل التالي:

(٢/١) ١- الحبوب:

تشكل الحبوب وخاصةً القمح والشعير الإنتاج الهام والوفير بالمغرب الأوسط، فقد كانت سهول قسنطينة والمسيلة وطبنة وتنس وشرشال تمد هذه البلاد بكميات كبيرة من إنتاج القمح[35]، وكانت الأراضي التي تندرج من سهل شلف من أجود الأراضي الفلاحية، وكذلك أراضي سهل متيجة كانت هي الأخرى مستغلة، فازدهرت الزراعة وقوي إنتاجها وأصبحت مصدرا للثروة.[36] اتفق الجغرافيون على أن مدينة بونة كانت من بين المناطق التي لها إنتاج وفير من القمح والشعير، وفي هذا الصدد يقول ابن حوقل: «... والقمح بها والشعير في أكثر أوقاتها كما لا قدر له...».[37] تعد باغاي كذلك من المدن المنتجة للحبوب، حيث أن «أكثر غلاتهم الحنطة والشعير» [38]، ومدينة طبنة هي الأخرى من بين المدن المنتجة للحبوب بمختلف أنواعها فهي كبيرة المزارع تنتج القطن والحنطة والشعير والكتان والحبوب عموما عندهم كثيرة غزيرة [39].

أما مدينة بجاية، ففضلاً عن كونها احتلت لفترة طويلة مركزًا سياسيًا كبيرًا باعتبارها عاصمة للدولة الحمادية (٤٠٥-٥٤٧ هـ/ ١٠١٤-١١٥٣م)، ثم حاضرة كبرى تأتي في المرتبة الثالثة بعد تونس وقسنطينة في عهد الحفصيين حبتها الطبيعة بأفق فسيح، كانت تستغل أراضيه وسهوله استغلالاً جيدًا في الإنتاج الزراعي [40]، فاتساع أراضيها الزراعية ساهم في وفرة الإنتاج الفلاحي خاصة الحبوب، حيث أن «لها بواد ومزارع والحنطة والشعير بها موجودة بكثرة».[41] وعلى العموم «كان لبني حماد اهتمام ملحوظ بزراعة القمح والشعير التي انتشرت في المغرب الأوسط كله، وبشكل خاص في نواحي قسنطينة والقلعة وباغاية وطبنة وبونة وجيجل وسطيف والجزائر وشرشال وبرشك وبنطيوس ومتيجة».[42]

تشير المصادر الجغرافية من جهة أخرى إلى مدن المغرب الأوسط ذات الإنتاج الفلاحي الواسع الذي يزيد عن الحاجة ويستخدم في التصدير، وذلك راجع لشساعة الأراضي الفلاحية ولجودة هذه الأراضي مما يجعل محصولها من الحبوب يجنى

مرتين في السنة. من بين هذه المدن مدينة مرسى الدجاج، فهي مدينة «... بها من رخص الأسعار أيضًا في الفواكه والمآكل والمطاعم والقمح والشعير والألبان والمواشي ما يُغْرِق غيرهم ممن يجاورهم ...»[43]، ومدينة شرشال التي بها «... من زراعة الحنطة والشعير ما يزيد على الحاجة»[44]، ومدينة بادس التي «... يزدرعون بها الشعير مرتين في العام»[45]، وهو ما يؤكده صاحب كتاب الاستبصار في قوله: «وهي مدينة كبيرة، لها حصنان وأرباض واسعة وبسائط كثيرة ومزارع جليلة يزدرعون فيها الشعير مرتين في السنة على مياه سائحة...».[46]

يشير العديد من الجغرافيين إلى أهمية مدينة تنس من الناحية الزراعية، وخاصةً فيما يتعلق بإنتاج القمح، حيث يقول ابن سعيد المغربي عن المدينة: «... وهي مشهورة بكثرة القمح، ومنها يحمل في المراكب إلى سواحل الأندلس وغيرها...»[47]، وهو ما يشير إليه الإدريسي في قوله: «... ولها أقاليم وأعمال ومزارع، وبها الحنطة ممكنة جدًا، وسائر الحبوب موجودة، وتخرج منها إلى كل الآفاق في المراكب...»[48]، ويؤكد ذلك صاحب كتاب الاستبصار: «... وهي كثيرة الزرع، رخيصة الأسعار، منها يحمل الطعام إلى الأندلس وإلى بلاد إفريقية وإلى بلاد المغرب لكثرة الزرع عندهم...».[49]

تطرقت المصادر الجغرافية إلى المناخ والدور الذي يلعبه في الناحية الزراعية حيث تؤكد العديد من هذه المصادر على أن البرودة التي تتسم بها بعض المناطق من بلاد المغرب الأوسط تساعد على الحفاظ على المنتجات الفلاحية وخاصةً الحبوب، فتختزن لسنوات دون أن تفسد، وهو ما يورده الإدريسي عند وصفه لمدينة القلعة: «... والقلعة كانت في وقتها وقبل عمارة بجاية، دار الملك لبني حماد، وفيها كانت ذخائرهم مدخرة، وجميع أموالهم مختزنة، ودار أسلحتهم، والحنطة تختزن بها فتبقى العام والعامين لا يدخلها الفساد ولا يعتريها تغيير».[50] وهي الملاحظة نفسها التي يبديها فيما يتعلق بإنتاج الحبوب في مدينة قسنطينة: «... ومدينة قسنطينة عامرة، وبها أسواق وتجارة، وأهلها مياسير ذوو أموال وأحوال واسعة ومعاملات للعرب، وتشارك في الحرث والادخار، والحنطة تقيم بها في مطامرها مائة سنة لا تفسد...»[51]، ويضيف في موضع آخر: «وفي كل دار منها مطمورتان وثلاث وأربع منقورة في الحجر، ولذلك تبقى بها الحنطة لبرودتها واعتدال هوائها...».[52]

(٢/١) ٢- التمر والزيتون:

منذ أقدم العصور كانت غابات النخيل تغطي المناطق الممتدة من جنوب قسنطينة إلى بسكرة وطولقة، وكان تمر مدينة بسكرة يتمتع بشهرة خاصة ولا سيما النوع الذي كان يعرف بالكسبا أو الصيحاني، والنوع الذي يسمي باللباري، حيث كان عبيد الله الشيعي[53] يمنع عماله من بيعه وإرسال ما تنتجه المنطقة منه إلى قصوره [54]. يقول البكري عن بسكرة: «... وهي مدينة كبيرة كثيرة النخل والزيتون وأصناف الثمار، ... وحواليها بساتين كثيرة، وهي في غابة كبيرة مقدار ستة أميال، فيها أجناس التمور، منها جنس يعرفونه بالكسبا، وهو: الصيحاني، يضرب به المثل لفضله على غيره، وجنس يعرف باللبارى: أبيض أملس، كان عبيد الله الشيعي يأمر عماله بالمنع من بيعه والتحظير عليه، وبعث ما هنالك منه إليه، وأجناس كثيرة يطول ذكرها، لا يعدل بها غيرها».[55]

وبالإضافة إلى مدينة بسكرة توجد العديد من مدن المغرب الأوسط التي تشتهر هي الأخرى بإنتاج التمور والزيتون، من بينها بنطيوس، «وهي ثلاث مدن يقرب بعضها من بعض، ... وأكثر ثمارها النخل والزيتون»،[56] مدينة طولقة، «وهي كثيرة البساتين بالزيتون والأعناب والنخيل والشجر وجميع الثمار...»،[57] مدينة طبنة، «... وهي مدينة حسنة كثيرة المياه والبساتين والزروع...، والتمر بها كثير...»،[58] «ومدينة المسيلة كثيرة النخل والبساتين...»،[59] مدينة تهودة، «وهي مدينة آهلة كثيرة الثمار والنخل والزرع»،[60] مدينة ورقلة وهي «كثيرة النخل والخيرات»،[61] وهو ما جعل محصول التمور في المغرب الأوسط يزيد عن الحاجة ويوجه إلى التصدير خاصة إلى افريقية.

(٢/١) ٣-الفواكه:

كان إقليم المغرب الأوسط باعتباره إقليمًا زراعيًا بالدرجة الأولى، ينتج أنواعًا مختلفة من الفواكه من تين وسفرجل وجوز وعنب وتفاح وغيرها، وهذا راجع إلى كثرة الأشجار المثمرة، حيث لم يخلوا أي وصف من الأوصاف التي وضعها الجغرافيون العرب لمختلف مدن وقرى هذه البلاد من الإشارة إلى احتوائها على الأشجار المثمرة. تعتبر مدينة مرسى الدجاج من المناطق المشهورة بإنتاج التين، حيث «... يحمل منها شرائح طوبًا ومنثورًا إلى سائر الأقطار، وأقاصي المدائن والأمصار، وهي بذلك مشهورة».[62] ومن الفواكه التي كان إنتاجها وافرًا في المغرب الأوسط، السفرجل بالعديد من المدن مثل برشك[63]، وتنس [64]، والمسيلة [65]، وتيهرت،[66] وشرشال[67]، والجوز بمدن نقاوس[68]، وتبسة[69]، وسطيف [70]، وتلمسان [71]، وكانت هذه الثمار معدة للتصدير لبقية الأقطار المجاورة لهذه البلاد.

(٢/١) ٤- القطن والكتان:

من بين المحاصيل الزراعية التي يتم إنتاجها في عدد من مدن المغرب الأوسط وبكميات كبيرة، حيث نجد في كتابات كل من ابن حوقل، والبكري والإدريسي ما يشير إلى ذلك. ومن أهم المدن المنتجة لهذه المحاصيل: مدينة بونة، التي «... يزرع بها الكتان»[72]، ومدينة طبنة، فهي «... كبيرة البساتين والزروع والقطن... ويزرعون الكتان...»[73]، والمسيلة، «ومن غلاتهم القطن...»[74]، وكذا متيجة، «وهي أكثر تلك النواحي كتَّانا ومنها يحمل»[75]، ومستغانم، «... ذات عيون وبساتين وطواحين ماء،

ويبذر في أرضها القطن فيجود»[76]، ومدينة مقرة، «... وأهلها يزرعون الكتان، وهو عندهم كثير»[77].

وبالإضافة إلى هذه المحاصيل الزراعية الوافرة والمشهورة، ينتج إقليم المغرب الأوسط محاصيل أخرى يوردها العمري عند وصفه لمملكتي إفريقية وبر العدوة، حيث يقول عن مملكة إفريقية: «والموجود بها من الحبوب: القمح، والشعير، والحمص، والفول، والعدس، والذرة، والدُّخْن، والجُلبان، والبِسِلَّة، وتسمى بإفريقية النسيم، وأما الأرز فمجلوب إليها، وبها من الفواكه العنب والتين كلاهما على أنواع، والرمان الحلو والمُرُّ والحامض، والسفرجل، والتفاح، والكُمَّثْري، والعُنَّاب، والزعرور، والخوخ أنواع، والمشمش أنواع، والتوت الأبيض والأسود المسمى بالفِرْصَاد، والعين، والقَراسِيا، والزيتون، والأُتْرُجُّ، والليمون، والليم، والنَّارنْج، وأما الجوز فقليل، وكذلك النخل، وأما الفستق والبندق فلا يوجد وكذلك الموز، ... وأما قصب السكر فيوجد منه ما قل بها ولا يعتصر، وبها البطيخ الأصفر على أنواع، والبطيخ الأخضر، ولكنه قليل ويسمى بها خاصة وبالغرب عامة الدلاع ...».[78] وعن مملكة بر العدوة يقول: «وبر العدوة به من أرزاق الحبوب القمح، والشعير، والفول، والحمص، والعدس، والدُّخْنُ، والسلت، وغير ذلك إلا الأرز فإنه قليل... وبها أنواع الفواكه المستطابة اللذيذة المتعددة الأنواع والأجناس من النخل والعنب، والتين، والرمان، والزيتون، والسفرجل، والتفاح على أصناف، والكُمَّثْري كذلك، ويسمى ببر العدوة الإنجاص كما يسمى بدمشق، والمشمش، والعين والبرقوق، والقراسيا، والخوخ غالب ذلك على عدة أنواع، وأما التوت فقليل، وبها الجوز، واللوز، ولا يوجد بها الفستق والبندق إلا إن جاء مجلوبا».[79]

١/٣- الثروة الحيوانية والسمكية:

كانت تربية المواشي ببلاد المغرب الأوسط تقوم جنبا إلى جنب مع الزراعة، فالمحصول الزراعي مقرون بالإنتاج الحيواني، فهو من أنشطته واهتماماته، حيث تعد الثروة الحيوانية مصدرًا هامًا للاقتصاد، وذلك بإنتاج اللحوم ومد الصناعة بالصوف، وعسكريًا باستخدام الخيول في الحرب [80].

(١/٣) ١- المواشي والخيول:

اشتهرت العديد من مدن المغرب الأوسط بكثرة ماشيتها، من بينها مدينة بونة المعروفة بتربية الأبقار[81]، حيث يقول ابن حوقل: «... وأكثر سوائمهم البقر، ولهم إقليم واسع وبادية وحوزة بها نتاج كثير، وقلَّ من بها تفوته الخيل السائمة للنتاج».[82] مدينة تاهرت هي الأخرى من المدن التي تكثر بها الماشية والخيول، حيث يقول ابن حوقل أنها «... أحد معادن الدواب والماشية والغنم والبغال والبراذين[83] الفراهية...»[84]، وهو ما يؤكده الإدريسي في قوله: «وبها من نتاج البراذين والخيل كل حسن، وأما البقر والغنم بها فكثيرة جدًا»[85]. من جهة أخرى يشير الحموي إلى تربية الخيول بمدينة تلمسان ويؤكد على نوعيتها الجيدة، فيقول: «ويكون بتلمسان الخيل الراشدية، لها فضل على سائر الخيل».[86] كما تُعَدّ كل من طبنة[87]، والمسيلة [88]، والجزائر[89]، وشرشال،[90] ودلس [91]، ووهران [92]، من مدن المغرب الأوسط التي لها نتاج وفير من الماشية، وهذا دليل على كثرة الأراضي الرعوية في المنطقة. وبالإضافة إلى تربية الماشية اشتهر إقليم المغرب الأوسط بتربية النحل، ولذلك فإن العسل به كثير، ومن المدن المشهورة بإنتاجه مدينة الجزائر، وهو ما يؤكده الإدريسي في قوله: «ومدينة الجزائر على ضفة البحر... ويتخذون النحل كثيرًا، فلذلك العسل والسمن كثير في بلادهم، وربما يتجهز بها إلى سائر البلاد والأقطار المجاورة لهم والمتباعدة عنهم»[93]؛ ومن المدن التي تنتج العسل بكميات كبيرة نذكر: برشك[94]، وبونة [95]، وتاهرت[96]، وشرشال[97]، وقسنطينة[98]، ووهران[99] ومازونة.[100]

(١/٣) ٢- السمك:

اشتهرت كل من مدن: مرسى الخرز، وبونة، وجيجل، والمسيلة بكثرة إنتاج الأسماك، حيث يقول ابن حوقل عن مدينة مرسى الخرز: «وفيها من صيود السمك ما لم أر ببلد مثله سمنا...»[101]، ويشير صاحب كتاب الاستبصار إلى السمك الذي يصطاد بمدينة بونة، فيقول: «وبغربي مدينة بونة بركة في دورها نحو عشرة أميال، وفيها سمك كثير جليل».[102] وعن مدينة جيجل يقول الإدريسي: «وبها الحوت الكثير العدد المتناهي في الطيب والقدر» [103]، كما يقدم لنا هذا الأخير معلومات مهمة عن السمك الذي يصطاد في نهر المسيلة، وهو نهر سهر فيقول: «وهي على نهر فيه ماء كثير مستنبط على وجه الأرض وليس بالعميق، وهو عذب، وفيه سمك صغير فيه طرق حمر حسنة، ولم يُر في بلاد الأرض المعمورة سمك على صفته، وأهل المسيلة يفتخرون به، ويكون مقدار هذا السمك من شبر إلى ما دونه، وربما اصطيد منه الشيء الكثير فاحتمل إلى قلعة بني حماد ...».[104]

الملاحظ على هذه النصوص؛ أن أغلبية مدن المغرب الأوسط كان لها بوادي تابعة لها، وأن البادية هي التي تمول المدينة بالمواد الزراعية التي تحتاج إليها، وغالبا ما تسد حاجتها ويبقى ما يوجه إلى التصدير، سواء إلى المناطق الداخلية أو الأقطار المجاورة. وفي الأخير نستخلص؛ أن الزراعة ببلاد المغرب الأوسط، وحسب النصوص الجغرافية، تُعَدّ من القطاعات الأساسية التي يقوم عليها اقتصاد هذه البلاد، وذلك راجع إلى ما يتوفر عليه هذا الإقليم من إمكانيات فلاحية تتمثل أساسًا في اتساع الأراضي الزراعية الخصبة ووفرة المياه التي تسقيها، وهو ما جعل الإنتاج الفلاحي وافرًا ومتنوعًا، ويرتبط به الإنتاج الحيواني الذي يعتبر هو الآخر كبيرًا نظرًا لكثرة الأراضي الرعوية. وهو ما يؤكده صاحب كتاب الاستبصار عند حديثه عن الزراعة في المغرب الأوسط حيث يقول: «هي كثيرة الخصب والزرع، كثيرة

الغنم والماشية، طيبة المراعي، ومنها تجلب الأغنام إلى بلاد المغرب وبلاد الأندلس لرخصها وطيب لحومها»،[105] من جهة أخرى تجدر الإشارة هنا إلى؛ أن العديد من المحاصيل الزراعية كانت تستخدم كمواد أولية في الصناعة، وهو ما يجعل هذه القطاعات تكمل بعضها البعض.

ثانيًا: الصناعة والحرف

عرفت مدن المغرب الأوسط بكثرة حرفييها الذين ساهموا مساهمة كبيرة في تحويل المواد الخام التي كان إنتاجها في الريف وفيرًا،[106] وبالتالي فإن الصناعة عندهم كانت بسيطة تتمثل في تحويل المواد الأولية إلى مواد مصنعة قد تكفي حاجة المدينة، وقد تزيد عن حاجتها فتوجه إلى التصدير. في البداية يجب التعرف على المواد الخام المستعملة في الصناعة، فغناها وتنوعها هو الذي يحدد أنواع الصناعات والحرف التي اشتهرت في بلاد المغرب الأوسط.

٢/١- الثروة المعدنية والخشبية:

تشير النصوص الجغرافية المدروسة إلى غنى إقليم المغرب الأوسط من الناحية المعدنية، حيث أوضحت هذه النصوص من خلال الأوصاف التي قدمتها لمجموعة من المدن وجود المعادن بها، أو بالجبال المجاورة لها، ويمكن حصرها فيما يلي:

(٢/١) ١- المعادن:

يذكر الجغرافيون العرب عددًا من المناجم، تستخرج منها مختلف المعادن وخاصةً الحديد حيث تعتبر مدينة مجانة من المدن المشهورة بتنوع المعادن بها ووفرتها حتى أنها كانت تعرف بمجانة المعادن[107]، يقول القزويني عنها: «بها معادن الفضة والحديد والمرتك والرصاص والكحل، وفي جنوبيها جبل تقطع منه أحجار الطواحين وتحمل إلى سائر بلاد العرب».[108] وهي تعرف كذلك بمجانة المطاحن لتوفر أحجار المطاحن بها، ومصدرها من جبل قريب منها وهو ما يؤكده الإدريسي في قوله: «مدينة صغيرة عليها سور تراب...، ولهم واد غزير الماء يأتي من جبل بمقربة منها يزرعون عليه غلاتهم، وهو جبل شاهق، ومنه تقطع أحجار المطاحن التي إليها الانتهاء في الجودة وحسن الطحين، حتى أن الحجر منها ربما مر عليه عمر الإنسان، فلا يحتاج إلى نقش ولا إلى صنعه، هذا لصلابته ودقة أجزائه».[109]

تُعَدّ مدينة بونة هي الأخرى من المدن ذات الإنتاج الكبير من معدن الحديد، حيث يقول ابن حوقل: «وبها معادن حديد كثيرة ويحمل منه إلى الأقطار الغزيرة الكثير...».[110] ويشير الإدريسي إلى مكان استخراج الحديد قرب بونة، وهو جبل يدوغ، فيقول: «وعلى مدينة بونة وبجنبيها جبل يدوغ، وهو عالي الذروة، سامي القمة، وبه معادن الحديد...».[111] يطلعنا البكري كذلك على وجود معدن الحديد قرب مدينة أرزاو في قوله: «وبقرب مدينة أرزاو جبل كبير فيه قلاع ثلاث مُسَوَّرةٌ، ورباط يقصد إليه، وفي هذا الجبل معدن للحديد والزئبق...».[112] والكاتب نفسه يشير إلى وجود معدن النحاس بجبال كتامة، وهو من كثرته يحمل إلى افريقية وغيرها من البلدان.[113] الملاحظ هنا وحسب النصوص الجغرافية الواردة؛ أن بلاد المغرب الأوسط بلاد غنية بالمعادن من حديد ونحاس ورصاص... وهي تزيد عن الحاجة وتوجه إلى البلاد المجاورة.

(٢/١) ٢- المرجان:

تتفق جميع المصادر الجغرافية على أن أجود أنواع المرجان هو المرجان المستخرج من مدينة مرسى الخرز حتى أن المثل يضرب به في جميع البلاد، حيث يقول أبو حامد الغرناطيفي فصل يخصصه لذكر خصائص البلاد في الأحجار: «يقال فيروج نيسبور، وياقوت سرنديب، وزبرجد مصر، وعقيق اليمن، وجزع ظفار، وبجاذى بلخ، ومرجان إفريقية».[114] ويقول ابن حوقل: «... ولا أعرف في شيء من البحار له نظيرا في الجودة، ولا يوجد المرجان في مكان غير هذه القرية -مرسى الخرز- ومدينة تنس وبمدينة سبتة ... والذي بها من المرجان قليل الجوهر حقير المقدار في جنب ما يخرج من مرسى الخرز».[115] أوردت العديد من كتب الجغرافيا الكيفية التي يتم بها استخراج المرجان من البحر، وبالضبط من مدينة مرسى الخرز، فيقول الإدريسي: «ومعدن هذا المرجان من هذه المدينة مخدوم في كل سنة، ويعمل به في كل الأوقات خمسون قاربًا والزائد والناقص، وفي كل قارب العشرون رجلاً وما زاد ونقص، والمرجان ينبت كالشجر ثم يتحجر في نفس البحر بين جبلين عظيمين، ويصاد بآلات ذوات ذوائب كثيرة تصنع من القنب [116]، تدار هذه الآلة في أعلى المراكب، فتلف الخيوط على ما قاربها من نبات المرجان، فيجذبه الرجال إلى أنفسهم ويستخرجون منه الشيء الكثير مما يباع بالأموال الطائلة، وعمدة أهلها على ذلك...».[117]

وبالإضافة إلى مدينة مرسى الخرز استخرج معدن المرجان من مدينة أخرى هي مدينة بونة، غير أنه لا يضاهي جودة مرجان مدينة مرسى الخرز، وهو ما يؤكده أبو الفداء في قوله: «... وحدث بها عن قريب مغاص على المرجان ليس كمرجان مرسى الخرز».[118] إن هذه النصوص التي تتفق على غنى مدينة مرسى الخرز بمعدن المرجان -من حيث الكم والنوع- تجعلنا نخرج بنتيجة هامة وهي وجود حركة تجارية كبيرة، بدليل تأكيد نفس المصادر على وجود سماسرة وتجار لبيع المرجان،[119] وكذا وجود حركة حرفية واسعة في المنطقة، فمن البديهي استغلال هذه المادة وتحويلها إلى منتجات حرفية بواسطة مجموعة من الحرفيين والصناع.

(٢/١) ٣- الأخشاب:

اشتهرت مدينة بونة بكثرة الخشب الموجود بها وبنوعيته الجيدة [120]، حيث «تسمى بونة بلد العناب [121] لكثرة العناب فيها ومنه خشب سقوفهم ووقودهم ومنه جميع ما يتصرفون فيه».[122] وبجانب غابات بونة ذكر البكري غابات بجبال الرحمن

قرب مدينة القل، فيها أشجار خشبها قابل للخرط، ولا سيما بمكان يسمى مرسى الخرَّاطين،[123] حيث يقول عند وصفه لهذا الجبل: «وهو جبل عظيم خارج في البحر يقابل جزيرة سردانية،... وفيه مزارع كثيرة ومراع مريعة[124]، ومنه يحمل عود الخرط[125] إلى إفريقية وما والاها، وفيه أسواق كثيرة ومراس، ومنها مرسى الخرَّاطين...».[126] يبدو أن وفرة الأشجار والغابات ببلاد المغرب الأوسط ساعد كثيرًا على تمويل مختلف الصناع والحرفيين بالمادة الأولية التي يحتاجون إليها لتصنيع العديد من المواد، وذلك عن طريق تحويل نوعيات معينة من الأشجار إلى أخشاب قابلة للاستخدام في تصنيع منتجات مختلفة. هذه هي أهم الثروات المعدنية والخشبية التي يزخر بها إقليم المغرب الأوسط، والتي تمثل مادة أولية تستعمل في الصناعة؛ فما هي أهم الصناعات والحرف التي عرفتها هذه البلاد؟

٢/٢- أهم الصناعات والحرف:

إن ما يلاحظ على بلاد المغرب الأوسط هو غناها من الناحية الزراعية والحيوانية من جهة، ومن الناحية المعدنية والخشبية من جهة أخرى، حيث توسعت كتب الجغرافيا في تقديم أوصاف للثروات الطبيعية التي تمتلكها هذه البلاد من محاصيل زراعية وإنتاج حيواني، ومعادن وأخشاب؛ والكثير من هذه الموارد تستعمل كمادة أولية في العديد من الصناعات، ثم إن تنوع المواد الأولية سيؤدي بالضرورة إلى تنوع الصناعات والحرف.

(٢/٢) ١- صناعة السفن:

تأسست ببجاية منذ عصر الحماديين دارًا من أهم دور صناعة وتعمير السفن التجارية والحربية، وذلك راجع إلى وفرة المواد الأولية لبناء السفن، منها الأخشاب والزفت الجيد والحديد [127]، وتفرد صاحب الاستبصار برواية أن بجاية أوت في العصر الموحدي مركزين لبناء وتعمير السفن[128]، مما يشير إلى اهتمام السلطة والسكان بسياسة تمتين خطوط الدفاع والهجوم ثم إلى الرغبة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية.[129] وإلى جانب دار الصناعة الموجودة ببجاية، وجدت في مدينة مرسى الخرز دار أخرى لصناعة وإنشاء السفن، حيث يقول البكري: «في هذه المدينة تنشأ السفن والمراكب الحربية التي يغزى بها إلى بلاد الروم».[130] «يبدو أن دار صناعة السفن ببجاية كانت في وضع الصدارة بالنسبة للمركزين الآخرين الموجودين على الساحل الشرقي، وهما: مرسى الخرز وبونة، حيث كان أسطول السفن الموجودة ببجاية درعًا وقى المدينة من شر الغارات الأجنبية، وربطها بمراكز التجارة والصناعة والحضارة في العصور الوسطى، أي تحقق بفضل نشاطه الغرض الاقتصادي والحربي معًا».[131]

والملاحظ كذلك؛ أن دار الصناعة ببجاية بقيت محافظة على مكانتها هذه لفترة طويلة، فإلى غاية النصف الثاني من القرن (الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي) كانت هذه الدار لا تزال من أهم دور الصناعة في المغرب الأوسط، حيث زارها السلطان المريني أبو عنان فارس[132] خلال الرحلة التي قام بها لإخضاع مجموعة من مدن هذه البلاد التي كانت خارجة عن سيطرته، وذلك سنة (٧٥٨ هـ/ ١٣٥٧م)، وهو ما يشير إليه ابن الحاج النميري [133] في رحلته قائلاً: «... فدخل ربض بجاية قاصدا دار صنعتها، ناظرا من هنالك إلى ما بهر من منعتها، فتفقد ما وجد بدار الصنعة هنالك من الأجفان، وأمر بدفعها لقهر أهل الغي والعدوان...».[134]

(٢/٢) ٢- الصناعة النسيجية:

سبقت الإشارة إلى وفرة إنتاج كل من القطن والكتان بمجموعة من مدن المغرب الأوسط، وإلى وفرة الصوف بسبب كثرة الماشية، ولابد أن مثل هذه المواد كانت تمول بشكل كبير صناعة النسيج والغزل في المنطقة، حيث كان لها شهرة واسعة وصلت إلى بقية البلدان. من بين هذه المدن، مدينة تبسة المعروفة بصناعة البسط، حيث يقول الحموي: «يعمل بها بسط جليلة محكمة النسج، يقيم البساط منها مدة طويلة».[135]

اشتهرت القلعة هي الأخرى بالصناعة النسيجية خاصة الأكسية منها، إذ يقول صاحب كتاب الاستبصار: «تصنع بمدينة قلعة حماد أكسية ليس لها مثيل في الجودة والرقة إلا الوجدية التي تصنع بوجدة، يساوي كساء عيد من عمل القلعة ثلاثين دينارًا»[136]، وهو ما يؤكده الحموي في قوله: «بها الأكسية القلعية الصفيقة[137] النسج الحسنة المطرزة بالذهب، ولصوفها من النعومة والبصيص بحيث ينزل مع الذهب بمنزلة الإبريسم».[138] يشير صاحب الاستبصار كذلك لصناعة العمائم التي اشتهر بها ملوك صنهاجة، فيقول: «وكانت لملوك صنهاجة عمائم شرب مذهبة يغلون في أثمانها، تساوي العمامة خمسمائة وستمائة دينار وأزيد، وكانوا يعممونها بأتقن صنعة فتأتي تيجانا، وكان ببلادهم صناع لذلك، يأخذ الصانع على تعميم عمامة منها دينارين وأزيد، وكانت لهم قوالب من عود في حوانيتهم، يسمونها الرؤوس، يعممون عليها تلك العمائم».[139]

تُعَدّ مدينة تلمسان هي الأخرى من أشهر مدن المغرب الأوسط المعروفة بصناعة النسيج والغزل، وهو ما يورده الزهري فيقول: «وهي دار مملكة يعمل فيها من الصوف كل شيء بديع من المُحرَّرَات والأبدان وأحاريم الصوف والسَّفاسِير والحنابل المكَلْكَلة وغير ذلك، ولقد يوجد فيها كساء كامل وزنه تسع أواق ونحوها، وهذا من بديع ما خص به أهلها من جميل صنعهم، ومنها يجلب لبق الصوف وسروج الخيل إلى بلاد المغرب وبلاد الأندلس».[140] ونظرًا للتطور الذي عرفته الصناعة النسيجية في مدينة تلمسان، «كان القماش التلمساني يباع في الدول المجاورة ويلبسه سلاطينها وأغنيائها وسكان بلاد السودان وأوربا، ومن أسماء الأقمشة التلمسانية، أقمشة الزرابي والحيك والحنابل، وهي زرابي طويلة خالية من النقوش، كانت تصدر إلى المغرب الأقصى والبرتغال وإيطاليا، وقماش الأكسية الذي يصدر القليل

منه لأوربا ومعظمه للسودان حيث يستخدم كملابس فخمة للملوك ورجال الحاشية والأثرياء».[141] وربما اختصت هذه المدينة بأنواع من الصناعة النسيجية التي لا توجد في غيرها حيث يقول الحموي: «وتتخذ النساء بها من الصوف أنواعًا من الكنابيش لا توجد في غيرها».[142]

(٢/٢) ٣- صناعة الجلود والدباغة:

أهملت كتب الجغرافيا الحديث عن هذا النوع من الصناعة، فعلى الرغم من إشارتها إلى توفر الماشية من أبقار وأغنام وإبل بجميع مناطق المغرب الأوسط، والتي تستعمل جلودها في هذا الميدان، إلا أنها لا تعطينا أية تفاصيل عن كيفية تحويل هذه الجلود إلى منتجات قابلة للاستعمال من طرف السكان وموجهة كذلك إلى التصدير إلى بقية البلدان. والمعروف أن حرفة الدباغة « تقوم على إصلاح الجلد وتليينه، حيث ينقع في الماء لمدة معينة، داخل حوض أو على ضفاف الوادي، ويستمر النقع مصحوبا بنتف الصوف أو الشعر حتى يصير الجلد وحده، ثم يؤخذ للدبغ؛ وفي هذه المرحلة يحرص الدباغون على عدم إلحاق الضرر بالجلد، مستعملين بعض المواد التي تمنع الجلد من التعفن والتلف مثل الملح والشب، حيث يذر على سطح الجلد ثم يترك مدة، وتكرر العملية حتى يصبح الجلد جافا وصافيا».[143]

وما يمكن استخلاصه حول هذا النوع من الصناعة هو ما نجده من إشارات عابرة في بعض المصادر مثلما يورده ابن سعيد أثناء تعداده لمنتجات مدينة تلمسان، حيث يذكر منها ألجم الخيول والسروج، وهي منتوجات يتم الحصول عليها بعد عملية تحويل الجلود، وفي هذا الصدد يقول ابن سعيد: «... وتحمل منها ألجم الخيل والسروج وما يتبع ذلك».[144] فمن بين الحرف الهامة بمدينة تلمسان خاصة بعدما رأينا ما عرفت به هذه المدينة من تربية الخيول، نجد حرفة اللجام وهو «صانع اللّجم التي توضع على رأس الفرس وتمر في فمه، وبها يتحكم الفارس في عنان فرسه ويكبح جماحه»،[145] وحرفة السراج وهو «صانع السروج التي توضع على ظهور الخيل، وكثيرًا ما كان جلال الفرس الذي يوضع تحت السرج لحماية ظهر الفرس، والسرج يطرزان بأسلاك الذهب والفضة».[146] ويُعَدّ البكري الوحيد من بين الجغرافيين محل الدراسة الذي يتحدث عن الصناعة الجلدية بطريقة مباشرة، وذلك في مدينة بونة، فيقول: «وبغربي مدينة بونة بركة بينها وبين بونة مسيرة يوم طولها ثلاثة أميال في مثلها، وفيها سملك جليل، وفيها الطائر المعروف بالكيكل، يُعشِّش على ماء تلك البحيرة، ... يصنع من جلوده الفراء ويباع بالأثمان الغالية».[147]

(٢/٢) ٤- صناعة الطب:

يشير الإدريسي إلى هذا النوع من الصناعة أثناء حديثه عن بعض النباتات المستعملة في التداوي، فمن خلال وصفه لبجاية يتحدث عن استخدام بعض النباتات الموجودة في المنطقة في صناعة الطب قائلاً: «ومدينة بجاية على البحر، لكنها على جرف حجر، ولها من جهة الشمال جبل يسمى ميسون، وهو جبل سامي العلو صعب المرتقى، في أكنافه جمل من النبات المنتفع بها في صناعة الطب مثل شجر الحضض، والسقولوفندوريون، والبرباريس،[148] والقنطاريون،[149] الكبير والزراوند،[150] والقسطون، والأفسنتين[151] أيضًا، وغير ذلك من الحشائش».[152] وبالإضافة إلى هذه الصناعات والحرف المشهورة ببلاد المغرب الأوسط، أشار الجغرافيون العرب إلى صناعات أخرى لم يحددوا ماهيتها إنما اكتفوا بالإشارة إلى وجود صنائع كثيرة بهذه البلاد. يشير الإدريسي مثلاً إلى وجود صناعات مختلفة بعدد من مدن المغرب الأوسط، مثل وهران فيقول: «وبها أسواق مقدرة وصنائع كثيرة»،[153] وجزائر بني مزغنة حيث يقول عنها: «وهي عامرة آهلة وتجاراتها مربحة وأسواقها قائمة وصناعتها نافقة».[154]

ثالثا: التجارة والطرق التجارية

أظهرت النصوص الجغرافية أن بلاد المغرب الأوسط كانت بلاد إنتاج كبير للمنتوجات الزراعية والمصنعة، كما أظهرت أن هذا الإنتاج غالبًا ما كان يزيد على الحاجة فيوجه إلى التصدير، أو كان يتمتع بجودة عالية بحيث يكثر عليه الطلب، من جهة أخرى فإن موقع هذه البلاد في حد ذاته جعل منها مركزًا هامًا للتجارة سواء الداخلية أو الخارجية.

١/٣- المراكز التجارية:

تتفق جميع النصوص الجغرافية على أن تجارة المغرب الأوسط سواء كانت داخلية أو خارجية كانت تجارة نشطة ومربحة، بحيث لا يخل وصف لأي مدينة من الإشارة إلى تجارة نشطة خاصة بالمدن الكبرى، والتي أصبحت مراكزًا تجارية مهمة تستقطب عددًا كبيرًا من التجار؛ ومن بين هذه المراكز والمدن نذكر:

(١/٣) ١-بونة: لعبت مدينة بونة دورًا هامًا ابتداءً من العهد الزيري (٣٦١ - ٤٠٥هـ/ ٩٧٢ - ١٠١٤م) وترجع أهميتها إلى خصب أراضيها الصالحة للزراعة ولتربية المواشي، وإلى وجود معادن الحديد الجيد في جبالها، وأخيرًا إلى أنها أصبحت بفضل مينائها مركزًا تجاريًا هامًا ذو حركة مستمرة.[155] وهو ما يؤكده ابن حوقل في قوله: «ولها أسواق حسنة وتجارة مقصودة وأرباح متوسطة وفيها خصب ورخص موصوف...، ومن تجارتها الغنم والصوف والماشية من الدواب وسائر الكراع...».[156]

(١/٣) ٢-مرسى الخرز: سبقت الإشارة إلى غنى هذه المدينة بمعدن المرجان، وهو ما جعلها مقصدًا للتجار لاقتناء هذه المادة، حيث يقول الإدريسي: «... ويقصد التجار من سائر البلاد إلى هذه المدينة فيخرجون منه الكثير إلى جميع الجهات، ... ويستخرجون منه الشيء الكثير مما يباع بالأموال الطائلة، وعمدة أهلها على ذلك».[157]

(١/٣) ٣-قلعة أبي طويل: كانت هذه المدينة قبل أن يقطع العرب طرق المواصلات إليها مركزًا تجاريًا رئيسيًا تشد إليه الرحال وتقصده القوافل من مختلف أنحاء العالم الإسلامي،[158] وهذا حسب قول البكري: «وهي قلعة كبيرة ذات منعة وحصانة، فلما كان خراب القيروان انتقل إليها أكثر أهل إفريقية، وهي اليوم مقصد التجار، وبها تحل الرحال من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب».[159]

(١/٣) ٤-بجاية: تتفق أغلبية المصادر الجغرافية على أن بجاية بعدما أصبحت عاصمة للدولة الحمادية تحولت إلى قطب تجاري بارز في بلاد المغرب عمومًا، وهذا راجع إلى موقعها الاستراتيجي الهام[160]، وهو ما يؤكده الإدريسي في قوله: «مدينة بجاية قطب لكثير من البلاد، وذلك أن من بجاية إلى ايزلجان يوم وبعض يوم، ومن بجاية إلى بلزمة مرحلتان وبعض، ومن بجاية إلى سطيف يومان، وبين بجاية وباغاية ثمانية أيام، وبين بجاية وقلعة بشر أيام، وهي من عمالة بسكرة، وبين بجاية وتيفاش ست مراحل، وبين بجاية وقالمة ثمان مراحل، وبين بجاية وتبسة ستة أيام، وبين دور مدين وبجاية إحدى عشرة مرحلة، وبين بجاية والقصرين تسعة أيام، وبين بجاية وطبنة سبع مراحل».[161] وهذا الموقع هو ما جعل تجارة هذه المدينة نشطة وكبيرة، حيث يقول نفس الكاتب: «ومدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة الغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد، والسفن إليها مقلعة والقوافل منحطة، والأمتعة إليها برًا وبحرًا مجلوبة، والبضائع بها نافقة، وأهلها مياسير تجار، ... وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى، وتجار الصحراء، وتجار المشرق، وبها تحل الشدود وتباع البضائع بالأموال المقنطرة».[162]

(١/٣) ٥- تنس: يشير ابن حوقل إلى أن هذه المدينة ذات تجارة واسعة خاصةً مع الأندلس، إذ يقول: «وهي أكبر المدن التي يتعدى إليها الأندلسيون بمراكبهم ويقصدونها بمتاجرهم وينهضون منها إلى ما سواها، ولسلطانها بها وجوه من الأموال كثيرة كالخراج والجوالي والصدقات والأعشار ومراصد على المتاجر الداخلة إليها والخارجة والصادرة والواردة»[163]، وهو ما يدل على النشاط التجاري الكبير للمدينة، بدليل الأموال الكبيرة التي كانت تستخلص من الضرائب على الوارد والصادر من البضائع.

(١/٣) ٦- تلمسان: تتفق معظم كتب الجغرافيا على أن مدينة تلمسان تعد من أكبر المراكز التجارية في المغرب الأوسط خصوصًا وبلاد المغرب عمومًا[164]، إذ يقول الإدريسي: «... وبالجملة إنها حسنة لرخص أسعارها ونفاق أشغالها ومرابح تجاراتها، ولم يكن في بلاد المغرب بعد مدينة أغمات وفاس أكثر من أهلها أموالاً ولا أرفه منهم حالاً، ومدينة تلمسان قفل بلاد المغرب، وهي على رصيف للداخل والخارج منه لا بد منها والاجتياز بها على كل حالة».[165] وبالتالي كان لتلمسان دور تجاري بارز، فهي تقع على الطريق الواصل بين المغرب الأدنى والمغرب الأقصى، وفي الوقت نفسه حلقة وصل بين أوربا وبلاد السودان، وبذلك كانت المدينة محط أنظار التجار من البلاد الإسلامية والممالك الأوربية [166]، ثم إن تلمسان بحكم موقعها المنتهي والمنطلق في الوقت نفسه لطرق التجارة تُعَدّ منطلقًا للبضائع القادمة من أوربا ومنتهي للبضائع الصحراوية القادمة من الجنوب.[167] إن مدينة تلمسان وبفضل هذا الموقع مثلت منطقة عبور إلى كثير من البلدان، حيث توقف عندها الكثير من الرحالة مثل العبدري[168]، والبلوي[169] في رحلتهما إلى الحجاز لأداء فريضة الحج[170]، وابن بطوطة[171] في أسفاره الطويلة[172]، وذلك من أجل قضاء حاجياتهم لمواصلة السفر، وهذا يدل على الأرباح التي ستستفيد منها هذه المدينة بسبب هذا الموقع، فابن بطوطة مثلاً يقول: «كان خروجي من طنجة مسقط رأسي .. فوصلت مدينة تلمسان... وأقمت بها ثلاثا في قضاء مآربي».[173]

(١/٣) ٧- ورقلة: يشبه موقع هذه المدينة موقع مدينة تلمسان في أنها تمثل منطقة عبور للتجار، حيث تمر بها القوافل التجارية القادمة من الشمال والتي تقصد بلاد السودان، كما أن السلع القادمة من هذه المنطقة تمر بها وصولاً إلى بلاد المغرب.[174] وبالإضافة إلى هذه المدن ذات التجارة الواسعة وجد في المغرب الأوسط مجموعة من المراسي يعددها البكري في جزء خاص حيث يحصي منها حوالي اثنان وثلاثون مرسى[175]، والأكيد أن هذه المراسي ساهمت في التجارة الخارجية في البحر المتوسط خاصةً مع الأندلس، نذكر من بينها:

(٧/١/٣) ١_ مرسى بجاية: «وهي مرسى عظيمة تحط فيه سفن الروم من الشام وغيرها من أقصى بلاد الروم، وسفن المسلمين من الإسكندرية بطرف بلاد مصر، وبلاد اليمن، والهند، والصين وغيرها».[176]

(٧/١/٣) ٢_ مرسى وهران: يقول ابن حوقل: «ولمدينة وهران مرسى في غاية السلامة والصون من كل ريح، وما أظن له مثيلاً في جميع نواحي البربر سوى مرسى موسى فقد كنفته الجبال وله مدخل أمن،... وهي فرضة الأندلس إليها ترد السلاع ومنها يحملون الغلال».[177]

(٧/١/٣) ٣_ مرسى هنين: على إثر نشأة الدولة الزيانية (٦٣٣-٩٦٢ هـ/ ١٢٣٥-١٥٥٤م)، واتخاذ تلمسان عاصمة لها، أصبح لميناء هنين أهمية اقتصادية خاصةً باعتباره أقرب ميناء من تلمسان حيث لعب دورًا هامًا في العلاقات التجارية لهذه الدولة، خاصةً وأنه الميناء الأقرب إلى الساحل الأندلسي[178]، حيث كان آنذاك يربط بلاد المغرب الأوسط مباشرة بميناء المرية بالأندلس.[179]

(١/٣) ٨- الأسواق: تحصي المصادر الجغرافية المدروسة أكثر من خمسة وأربعين سوقًا كانت قائمة في المغرب الأوسط خلال العصور الوسطى، ولكن هذه المصادر لا توضح كيفية

تنظيم هذه الأسواق، ولا السلع المعروضة فيها، ولا كيفية التبادل إلا في القليل النادر، حيث تشير إلى مكان السوق واليوم الذي يُعقد فيه والسلع الموجودة به. يصف البكري مثلاً سوق مدينة طبنة ويوضح مكان إقامته على طريق بين بابين من أبواب المدينة، فيقول: «ولمدينة طبنة من الأبواب: باب خاقان... وباب الفتح...، وبينهما سماط يشق المدينة من الباب إلى الباب،... وبها أسواق كثيرة غير السماط المذكور».[180] ويشير الإدريسي هو الآخر إلى سوق مدينة أشير فيقول: «وهو حصن حسن البقعة، كثير المنافع، وله سوق يوم معروف يجلب إليه كل لطيفة، ويباع به كل طريفة»،[181] ويقول عن سوق مدينة مازونة: «وهي مدينة بين أجبل، وهي أسفل خندق، ولها أنهار ومزارع وبساتين، وأسواق عامرة ومساكن مونقة، ولسوقها يوم معلوم يجتمع إليه أصناف من البربر بضروب من الفواكه والألبان»[182]، وبالتالي هو يوضح السلع المعروضة بهذه الأسواق، وأن لها يوم محدد من الأسبوع تنعقد فيه.

٢/٣- الطرق التجارية: وضع الجغرافيون بنصوصهم خريطة وصفية لمدن وقرى المغرب الأوسط، هذه الخريطة جاءت واصفة للمدن التي على مسار المسالك، فأغلبية هذه المدن صورت كمراحل هامة أو ثانوية تخدم الطرق العابرة للمغرب من الغرب إلى الشرق ومن الشمال إلى الجنوب، ثم إن النص الجغرافي كأنما أعد للتجار ومستلزمات الضرائب والإدارة.[183] إن ابن حوقل وباعتباره خبيرًا اقتصاديًا، وتاجرًا جوالاً يحضر الأسواق، ويتتبع طريق القوافل التجارية، يثير انتباهه كل شيء يتعلق بالمبادلات والصفقات، وهذه السمة هي التي جعلت معلوماته المدونة في كتابه قريبة من واقع الأشياء[184]، حيث قدم لنا هذا الكاتب أوصافًا موسعة للطرق والمسالك التي كانت تربط بين بلاد المغرب، كما يحدد المراحل التي تربط بين المدن، ومن بين هذه الطرق يذكر الطريق الرابط بين القيروان وتاهرت، والطريق بين القيروان والمسيلة إلى إفريقية، ثم الطريق من فاس إلى المسيلة.[185] يحدد البكري هو الآخر مجموعة من الطرق التي تربط مدن المغرب الأوسط ببعضها البعض، وبما جاورها من البلدان، وهي: الطريق من القيروان إلى قلعة أبي طويل[186]، الطريق من قلعة أبي طويل إلى تنس[187]، الطريق من أشير إلى مرسى الدجاج[188]، الطريق من أشير إلى جزائر بني مزغنى[189]، الطريق من تيهرت إلى البحر[190]، الطريق من وهران إلى القيروان[191]، الطريق من فاس إلى القيروان[192]. بينما يتطرق الإدريسي كذلك إلى هذه الطرق والمسافات الفاصلة بينها، مثل الطريق من تلمسان إلى تنس[193]، الطريق من تنس إلى المسيلة[194]، الطريق من تلمسان إلى المسيلة.[195]

عمل التجار المسلمون على ربط المغرب الأوسط بباقي العالم بعدد من المسالك الهامة، استعملتها قوافل كثيرة خاصة أن الجمال والبعير والبغال كانت متوفرة بأعداد كبيرة، وقد ركزت النصوص على أهمية هذه المسالك، وخاصةً الرابطة بين الشرق والغرب والشمال والجنوب [196]، وتتمثل فيما يلي:

(٢/٣) ١- الطريق الساحلي: يصل هذا الطريق بين موانـئ مرسى الخرز وجيجل وبونة وبجاية ومرسى بني جناد ومرسى الدجاج وجزائر بني مزغناي وشرشال بمراسي برشك وتنس وقصر الفلوس ووهران وأرشقول، إلا أن المسافرين يتجنبونه لصعوبة مسالكه وانقطاعه في بعض الجهات، الأمر الذي يضطر كثيرًا من التجار إلى استعمال السفن للانتقال من مرسى إلى آخر.[197]

(٢/٣) ٢- طريق الهضاب: تعتبر منطقة الهضاب من حيث وضعها الجغرافي وطبيعة تضاريسها منطقة عبور وانتقال طبيعي بين إقليم إفريقية وعاصمته القيروان وأقاليم المغرب الأوسط والأقصى وحواضره الكبرى كتاهرت وتلمسان وفاس، كما كانت تشكل محور مواصلات بين سواحل البحر المتوسط والنواحي الجنوبية المتاخمة للصحراء الكبرى، هذا وقد اشتهر من مسالك الهضاب العُليا طيلة العهد الإسلامي طريقان يتوجهان من الشرق إلى الغرب، إحداهما شمالي وآخر جنوبي، ينطلق كلاهما من القيروان ويصلانها بقلعة بني حماد والمسيلة وأشير وتاهرت.[198]

(٢/٣) ٣-الطريق الصحراوي: وصفه كثير من الجغرافيين وذكروا أهم محطاته كبنطيوس وبسكرة وتهودة وبادس [199]، لكنه صعب الاجتياز لشدة حرارته وقلة مائه وانعدام الأمن به في كثير من الأحيان.[200]

لم تقدم النصوص الجغرافية معلومات كافية عن الطرق التجارية، فهي تقدم لنا الطريق على شكل عدد من المراحل، ولا تقدر المسافة بالتحديد، فالتقدير يكون باستعمال مرحلة صغيرة أو كبيرة علما أن هذه المراحل ترتبط عادة بأمور تحدد طولها، مثل صعوبة المسالك وقرب المراحل من بعضها البعض أو بعدها، ففي المناطق الخصبة الآهلة بالسكان عادةً ما تكون المراحل متقاربة فيما بينها، أما في المناطق الصحراوية فإن هذه المراحل عادةً ما تكون متباعدة.[201]

٣/٣- الصادرات والواردات: وضحت النصوص الجغرافية أن بلاد المغرب الأوسط كانت بلاد إنتاج واسع لمواد مختلفة منها الزراعية ومنها الصناعية، وأن هذه المواد غالبًا ما كانت تزيد عن الحاجة وبالتالي توجه إلى التصدير، فما هي أهم صادرات المغرب الأوسط إلى بقية الأقطار؟ وما هي أهم المواد التي كانت تجلبها من الأقاليم والأمصار الأخرى ؟ يحدد الاصطخري صادرات بلاد المغرب عمومًا، فيقول: «والذي يقع (يرتفع) من المغرب الخدم السود من بلاد السودان والخدم البيض من الأندلس والجواري المثمنات تأخذ الجارية والخادم عن غير صناعة على وجوههما ألف دينار وأكثر، وتقع منها اللبود[202] المغربية والبغال للسرج والمرجان والعنبر والذهب والعسل والزيت والسفن والحرير

والسمُّور».[203] أما ابن حوقل فيقدم لنا حوصلة عامة عن المنتوجات التي يتم تصديرها من المغرب إلى المشرق في قوله: «فأما ما يجهز من المغرب إلى المشرق فالمولدات الحسان الرُوقة كالتي استولدهن بنو العباس وغيرهم وأكابر رجالهم، وولدن غير سلطان عظيم كسلامة البربرية أم أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وقراطيس أم أبي جعفر هارون الواثق بن المعتصم وقتول أم أبي منصور محمد القاهر بن المعتضد، وغير من ذكرت من ملوك الشرق وأمرائه، والغلمان الروقة الروم، والعنبر والحرير والأكسية الصوف الرفيعة والدنية إلى جباب الصوف وما يعمل منه، والأنطاع والحديد والرصاص والزيبق والخدم المجلوبون من بلاد السودان والخدم المجلوبون من أرض الصقالبة على الأندلس، ولهم الخيل النفيسة من البراذين والبغال الفُره والإبل والغنم وما لديهم من ماشية البقر وجميع الحيوان الرخيص».[204]

من جهة أخرى يحدد ابن سعيد المغربي صادرات مدينة تلمسان في قوله: «وهي الآن قاعدة بني عبد الواد من زناتة، ومنها تحمل ثياب الصوف المفضلة على جنسها المصنوع في سائر المغرب، وتحمل منها ألجم الخيل والسروج وما يتبع ذلك».[205] أما بالنسبة لواردات بلاد المغرب الأوسط فإن المصادر الجغرافية تبخل علينا بإيراد معلومات حول هذه النقطة، ولا نجد بها إلا إشارات بسيطة حول ما يرد إلى هذه البلاد من بقية المناطق، فالإدريسي مثلا يحدثنا عن تجارة مدينة وارقلان فيقول: «وهي مدينة قبائل مياسير وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى غانة وبلاد ونقارة فيخرجون منها التبر ويضربونه في بلادهم باسم بلدهم»[206]، وحول المدينة نفسها يقول ابن سعيد: «وهي بلاد نخل وعبيد ومنها تدخل العبيد إلى المغرب الأوسط وإفريقية، والسفر منها في الصحراء إلى بلاد السودان كثير».[207]

ما نستخلصه من هذين النصين أن مدينة وارقلان كانت منطقة عبور تعبر منها السلع من السودان وجنوب الصحراء إلى المغرب الأوسط، وأن تجار هذه البلاد يعبرون منها إلى بلاد السودان للإتجار، وبالتالي تُعَدّ هذه المنطقة سوقًا تجارية كبيرة، وهو ما يتفق مع وصف الإدريسي لتجارها بالأغنياء. يشير أبو حامد الغرناطي هو الآخر إلى تجارة التبر الذي يجلبه تجار سجلماسة من غانة، والمؤكد أن المغرب الأوسط سيكون له حظ من هذه التجارة باعتباره نقطة عبور فيقول: «... ينبت في رمالهم التبر الغاية وهو كثير عندهم، يحمل التجار إليهم حجارة الملح على الجمال، فيخرجون من بلدة يقال لها سجلماسة، آخر بلاد المغرب الأعلى، فيمشون في رمال كالبحار، ويكون معهم الأدلاء يهتدون بالنجوم وبالجبال في القفار، ويحملون معهم الزاد لستة شهور، فإذا وصلوا إلى غانة باعوا الملح وزنا بوزن الذهب وربما باعوه وزنا بوزنين أو أكثر على قدر كثرة التجار وقلتهم».[208]

ولعل النصوص الجغرافية لم تهمل الحديث عن واردات المغرب الأوسط نظرًا للإمكانيات التي كان يتميز بها هذا الإقليم خاصةً فيما يتعلق بالزراعة والثروة الحيوانية، وهو ما مكنه من تحقيق الاكتفاء الذاتي حسب المصطلح الحديث، وجعله لا يستورد من بقية الأقطار سوى مواد قليلة لا توجد به مثل التبر وغيره.

٤/٣- المكاييل والموازين:

كانت المكاييل المستعملة خلال الفترة الوسيطية ببلاد المغرب الأوسط هي: «المد، والويبة، والصحفة، والقادوس، والقفيز، فكان المد المستعمل هو المد النبوي المساوي ٠,٧٣٣ لترًا، واستعمل أهل باغاية الويبة التي تساوي أربعة وستين مدًا نبويًا، وكان سكان تنس يكتالون الحبوب بالصحفة التي تساوي ثمانية وأربعين قادوسًا والقادوس يساوي ثلاثة أمداد نبوية، أما أهل تاهرت فكان مدهم يساوي خمسة أقفزة ونصفًا قرطبية».[209]

أما الأوزان الرئيسة فهي: « المثقال، والدرهم، والصنجة، والوقية، والرطل، والقنطار، حيث كان وزن المثقال يعادل وزن الدينار الذي كان يتراوح بين ٤,٢١ غ و٤,٢٥ غ، وكان الدرهم المستعمل للوزن يزن سبعة أعشار (١٠/٧) المثقال، أما الرطل فقد كان منه أنواع شتى: الرطل الفلفلي لوزن الفلفل، والرطل العادي لوزن اللحم وسائر الأشياء، فكان رطل اللحم يساوي عشرون رطلا فلفليا في باغاية، ويساوي ثلاثة أرطال عادية تقريبا في تنس، وكان رطل اللحم يساوي سبعا وستين أوقية والرطل الآخر اثنتين وعشرين أوقية، أما في تاهرت فكان رطل اللحم يساوي خمسة أرطال عادية».[210]

يحدد بعض الجغرافيين مكاييل وموازين بلاد المغرب، ومن بينهم المقدسي فيقول: «وأما الأرطال فكانت بغدادية في الإقليم كله إلا الذي يوزن به الفلفل فإنه يشف على البغدادي بعشرة دراهم، والآن هو المستعمل في أعمال الفاطمي بالمغرب كله، والمكاييل قفيز القيروان اثنان وثلاثون ثمنا والثمن ستة أمداد بمد النبي (ﷺ)، ومكاييل الفاطمي الدوار وهي التي تشف على ويبة مصر بشيء يسير قد ألجم راسها بعارضة من حديد وأقيم عمود من قاعها إلى العارضة فوقه حديد يدور على راس الويبة فإذا أترعها أدار الحديدة فمسحت فم الويبة وصح الكيل، وأرطاله رصاص على كل رطل اسم أمير المؤمنين...».[211]

يشير البكري إلى مكاييل بلاد المغرب الأوسط تحديدًا، وذلك خلال وصفه لبعض المدن التابعة لها مثل مدينة تنس، فيقول عنها: «وكيلهم يسمى الصَّحفة، وهي ثمانية وأربعون قادوسا، والقادوس ثلاثة أمداد بمُدِّ النبي (ﷺ)، ورطل اللحم بها سبع وستون أوقية، ورطل سائر الأشياء: اثنتان وعشرون أوقية، ووزن قيراطهم ثلث درهم عدل بوزن قرطبة، والجاري عندهم قيراط وربع درهم وصقل وحبتان مضروبة كلها، ودرهمهم اثنتا عشرة صقلية عددًا».[212] وعن مدينة تيهرت يقول: «ومدهم الذي يكتالون به خمسة أقفزة ونصف قرطبية، وقنطار الزيت وغيره

عندهم: قنطاران غير ثلث إلا المجلوب من الفلفل وغيره، فإنه قنطار عِدْل، ورطل اللحم عندهم خمسة أرطال»[213]. أما مدينة أرشقول فيحدد مكاييلها على الشكل التالي: «... وكيلهم ستون مدًا بمد النبي (ﷺ) ويسمونه عمورة، ورطلهم اثنتان وعشرون أوقية، ودرهمهم ثماني خراريب، والخروبة أربع حبات».[214] كما يصف مكاييل مدينة باغاية قائلاً: «وكيل الطعام بباغاية بالوبية، وهي أربعة وستون مدًا بمد النبي (ﷺ)، وهو قفيز ونصف قفيز قرطبي، وقفيز الزيت قروى وهو خمس ربع قرطبي، ورطل اللحم عندهم عشرون رطلاً فلفلية».[215]

الملاحظ على هذه المكاييل أنها لا تختلف مع بقية الأقاليم بل تختلف كذلك من مدينة إلى أخرى من مدن المغرب الأوسط. وفي الأخير يمكن أن نستنتج من خلال الأوصاف الموسعة التي خص بها الجغرافيون العرب بلاد المغرب الأوسط من الناحية التجارية أن هذه المنطقة شكلت سوقًا ومركزًا تجاريًا دوليًا واسعًا، حيث ازدهرت تجارتها الداخلية والخارجية بفضل غناها من الناحية الطبيعية والزراعية ووفرة المواد المصنعة بها، وكذلك بسبب موقعها الاستراتيجي الذي منحها أهمية خاصة وجعلها تربط مناطق عديدة فيما بينها، فربطت إفريقية بالمغرب الأقصى، وربطت كليهما بالصحراء، كما ربطت الصحراء بالشمال.

خاتمة

ما يمكن استنتاجه فيما يخص الأوضاع الاقتصادية لبلاد المغرب الأوسط من خلال المصادر الجغرافية، هو ما نستشفه من وصف ابن الخطيب لمدينة تلمسان حيث يقول: «خزانة زرع، ومسرح ضرع، فواكهها عديدة الأنواع ومتاجرها فريدة الانتفاع، وبرانسها رقاق رفاع»[216]، وهو ما ينطبق بشكل كبير جدًا على جميع مدن هذه البلاد، حيث أن الاطلاع على كتب الجغرافيا العربية واستخراج المادة التاريخية التي تمس الجوانب الاقتصادية لبلاد المغرب الأوسط مكنتنا من التوصل إلى جملة من النتائج نلخصها فيما يأتي:

- من الناحية الزراعية تتفق جميع المصادر الجغرافية على أن بلاد المغرب الأوسط هي بلاد ذات إنتاج فلاحي واسع، وهذا بفضل شبكة من الأنهار والأودية والعيون تسقي الأراضي الزراعية، وهي نظرًا لكثرتها وتنوعها فإن بعض المحاصيل الزراعية يتم جنيها مرتين في السنة.
- تتنوع المحاصيل الزراعية التي تنتجها أراضي المغرب الأوسط، حيث أظهرت المصادر الجغرافية غنى هذا الإقليم من الناحية الزراعية، وأن أكثر منتجاته الفلاحية تتمثل أساسًا في الحبوب والتمور والزيتون، وهي لكثرتها غالبًا ما تكفي حاجيات مدن المغرب الأوسط وتوجه إلى التصدير إلى المناطق المجاورة وخاصة إلى القيروان والأندلس.
- يزخر هذا الإقليم من جهة أخرى بثروة حيوانية كبيرة، وهو جانب مرتبط كل الارتباط بالزراعة، ونظرًا لكثرة الأراضي الرعوية ببلاد المغرب الأوسط، اشتهرت هذه البلاد بإنتاجها الكبير للماشية والخيول وسائر الكراع، حتى أن العديد من الجغرافيين المشارقة أشاروا إلى هذه النقطة عند تعريفهم بالعديد من مدن المغرب الأوسط، وأن هذه البلاد بلاد زرع وضرع.
- وإلى جانب الثروة الزراعية والحيوانية يعتبر إقليم المغرب الأوسط غنيًا كذلك من الناحية المعدنية، حيث اشتهرت مجموعة من مدن المغرب الأوسط مثل مجانة وبونة وأرزاو ومرسى الخرز بإنتاجها الغزير من المعادن والمتمثلة على التوالي في الحديد والنحاس والمرجان، وهذه المواد سواء الزراعية أو المعدنية تشكل مجتمعة مادة أولية للكثير من الصناعات والحرف.
- إن غنى المغرب الأوسط من الناحية الزراعية بما ينتجه من مواد زراعية وثروة حيوانية، وغناه من الناحية المعدنية بما أمدته الطبيعة من معادن وأخشاب، هو ما جعل الصناعات والحرف بهذه البلاد من الكثرة والتنوع ما يسد حاجياتها ويوجه في أحيان كثيرة إلى التصدير، حيث تحصي كتب الجغرافيا عددًا من الصناعات تتمثل خصوصًا في بناء

السفن، صناعة الغزل والنسيج، صناعة الجلود، إلا أن هذه الأخيرة لا تتوسع كثيرًا في شرح هذه النشاطات لدى سكان المغرب الأوسط وكيفية تنظيمها بل تكتفي في غالب الأحيان بالإشارة إلى أن هذه المدن بها صناعات مختلفة، وإذا ما تم تحديد نوع الصناعة أو الحرفة لا تسترسل هذه الكتب في إعطاء معلومات دقيقة ووافية عنها، خاصةً فيما يتعلق بكيفية تحويل المادة الأولية إلى مواد مصنعة أو كيفية تنظيم هذه الحرف، هل لها أسواق قائمة أو حوانيت محددة أو الطبقة التي تمارس هذا النشاط وغيرها من الأسئلة التي تطرح في هذا المجال.

- أظهرت النصوص الجغرافية أن بلاد المغرب الأوسط كانت سوقا تجارية كبيرة، وهذا راجع إلى التجارة النشيطة التي عرفتها هذه البلاد، سواء التجارة الداخلية ما بين المدن أو التجارة الخارجية مع بقية الأقطار مثل إفريقية والمغرب والأندلس وحتى المشرق، وهذا ما أدى إلى ظهور مراكز تجارية كبرى بالمنطقة جلبت إليها العديد من التجار ومن مختلف المناطق أهمها: بونة، مرسى الخرز، قلعة أبي طويل، بجاية، تنس، تلمسان وورقلة.
- وبالإضافة إلى هذه المراكز ذات التجارة الواسعة حاز إقليم المغرب الأوسط على مجموعة من المراسي التجارية ساهمت هي الأخرى في تنشيط الحركة التجارية بالمنطقة خاصةً الخارجية منها مثل مرسى بجاية ووهران وهنين والتي كانت تربط بلاد المغرب الأوسط مباشرة بمراسي الأندلس ومراسي أوربا.
- أما بالنسبة للأسواق ببلاد المغرب الأوسط فلا تعطينا المصادر الجغرافية أي معلومات ذات فائدة عنها، بل تكتفي بالإشارة إلى تواجد عدد كبير من الأسواق بها، وأن لكل مدينة أو قرية سوقًا أو أسواقًا تنعقد بها في أيام محددة.
- وضعت كتب المسالك والممالك خريطة دقيقة للطرق التجارية المشهورة ببلاد المغرب الأوسط، حيث تطرقت إلى تحديد أهم الطرق التي تصل إقليم المغرب الأوسط ببقية أقاليم المغرب، والطرق التي تصل أهم مدنه ببعضها البعض، كما أوضحت المدن التي تمر بها والمسافات الفاصلة بينها بالمراحل، ولعل أهم هذه الطرق تتمثل في الطريق الساحلي الذي يربط موانئ المغرب الأوسط ببعضها، وطريق الهضاب الذي يمثل أهمية خاصة باعتباره يربط بين إفريقية والمغرب ويربط الشمال بالجنوب في نفس الوقت، وأخيرًا الطريق الصحراوي الرابط بين مجموعة من المدن الصحراوية.
- إن التنوع الذي عرفته بلاد المغرب الأوسط في منتجاتها سواء الفلاحية أو الصناعية وغناها من الناحية الطبيعية جعل جميع المواد التي تقوم بإنتاجها من الكثرة ما يسمح لها بالقيام بعملية التصدير، حيث تشير كتب الجغرافيا إلى عدد كبير من منتجات المنطقة التي كانت تحمل إلى بقية الأقطار مثل الخدم والجواري، والمرجان والعنبر والذهب، والعسل والزيت، والسفن، والحرير وأكسية الصوف، والحديد والرصاص والزئبق، والخيل والمواشي من الإبل والغنم والبقر وجميع الحيوانات.

ملحق رقم (١) خريطة لأهم الموارد المائية في المغرب الأوسط من خلال المصادر الجغرافية

ملحق رقم (٢) خريطة لأهم المحاصيل الزراعية في المغرب الأوسط من خلال المصادر الجغرافية

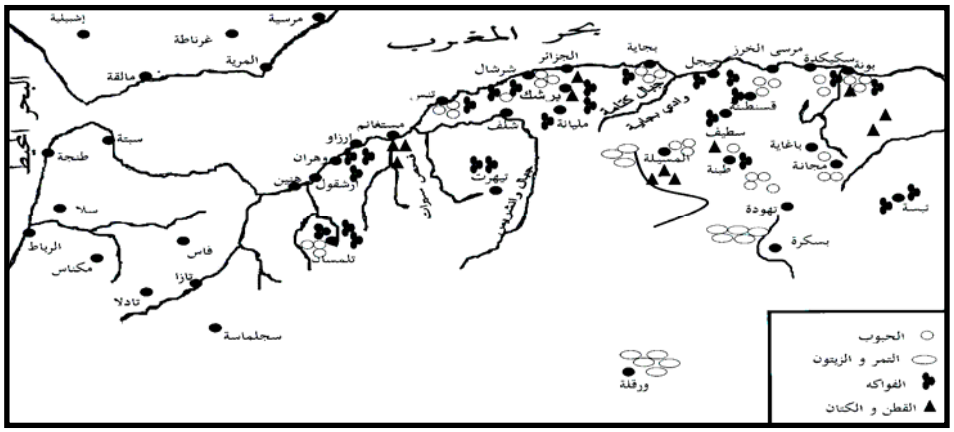

ملحق رقم (٣) خريطة لأهم الصناعات في المغرب الأوسط من خلال المصادر الجغرافية

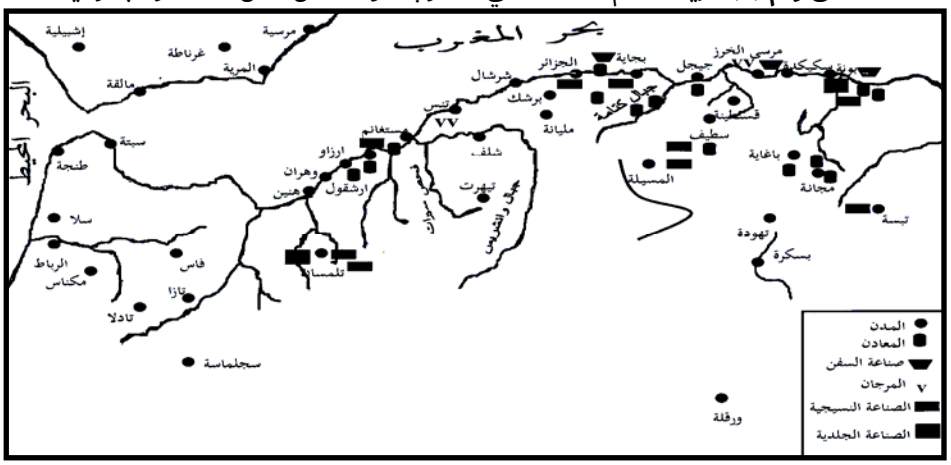

ملحق رقم (٤) خريطة لأهم المراكز والطرق التجارية في المغرب الأوسط من خلال المصادر الجغرافية

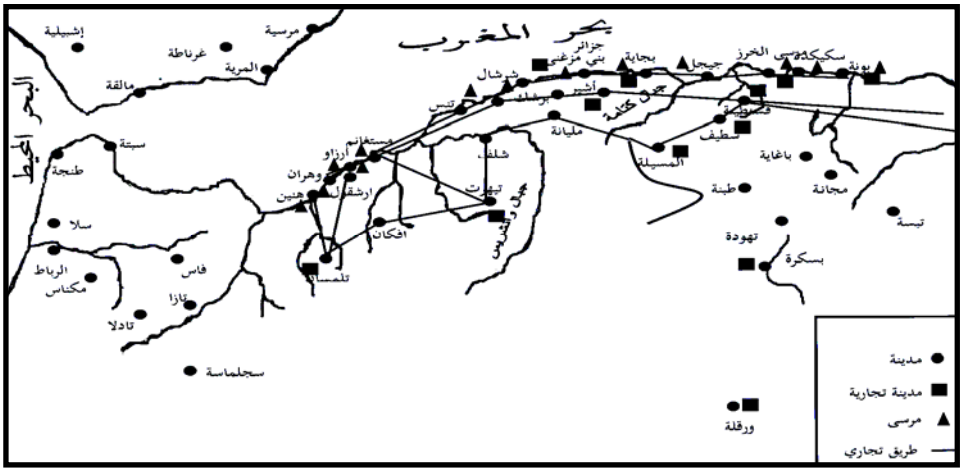

الهَوامِشُ:

(1) من بين هذه الدراسات: يسري الجوهري، **الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠٣؛ محمد محمود محمدين، **الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان**، دار الخريجي للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة ٠٢، ١٩٩٦؛ شاكر خصباك، **الجغرافية عند العرب**، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، د.ت؛ عمر رضا كحالة، **التاريخ والجغرافيا في العصور الإسلامية**، المكتبة العربية، دمشق، ١٩٧٢؛ أحمد فؤاد باشا، **التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة**، دار المعارف، مصر، الطبعة ٠١، ١٩٨٣.

(2) كلمة يونانية بمعنى صورة الأرض، ويقال جغرافيا بالواو: علم يتعرف منه أحوال الأقاليم السبعة وعروض البلدان الواقعة فيها وأطوالها وعدد مدنها وجبالها وبراريها وبحارها وأنهارها... والجغرافيا علم لم ينقل له في العربية لفظ مخصوص، حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله، **كتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، المجلد٠٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٤١، ص: ٥٩٠، وكلمة جغرافيا لم تستعمل للدلالة على علم الجغرافيا إلا مؤخرًا، وجرى قدماء الجغرافيين على استعمال هذا اللفظ علما على كتابي بطليموس ومارينوس الصوري، واستعملت لأول مرة بمعنى علم الجغرافيا في رسائل إخوان الصفا، لكنها فسرت أيضا في هذا الموضع بأنها صورة الأرض، وظل هذا المعنى شائعًا في العصور الوسطى، **دائرة المعارف الإسلامية**، ترجمة: محمد ثابت الفندي، أحمد الشنتناوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، المجلد ٠٧، وزارة المعارف العمومية، مصر، ١٩٣٣، ص: ١٠.

(3) من بين هؤلاء: ابن حوقل، **كتاب صورة الأرض**، دار صادر، بيروت، الطبعة ٠٢، د.ت، ص: ٨٤، **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب**، تعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٥، ص: ١٦٢-١٦٣، الحميري محمد بن عبد المنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة ٠٢، ١٩٨٤، ص: ٥٤٥.

(4) البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، **المسالك والممالك**، تحقيق: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة ٠١، ٢٠٠٣، ج ٠٢، ص: ٢٣١.

(5) نفس المصدر، ص: ٢٤٠، الحميري، المصدر السابق، ص: ٥٥٨،الإدريسي محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس، **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس**، مقتبس من **كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** للإدريسي أبي عبد الله الشريف، تحقيق: اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٣، ص: ١٥٦، الدمشقي شمس الدين، **كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، د.م، ١٩٢٣، ص: ٢٣٧، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر، تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، د.ت، ص: ١٣٩.

(6) انظر: البكري، المصدر السابق، ج ٠٢، ص: ٢٤٠، الاستبصار، ص: ١٦٧، الحميري، المصدر السابق، ص: ٤٢٧.

(7) ابن حوقل، المصدر السابق، ص: ٨٥.

(8) الاستبصار، ص: ١٣٠، الحميري، المصدر السابق، ص: ٨١، الدمشقي، المصدر السابق، ص: ٢٣٥، أبو الفدا، المصدر السابق، ص:١٣٧، العمري شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، الجزء الرابع: **ممالك اليمن والغرب الإسلامي وقبائل العرب**، تحقيق: حمزة أحمد عباس، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة ٠١، ٢٠٠٢، ص: ١٤٦.

(9) لا يُعَدّ المراكشي جغرافيًا وضع أوصافًا لبلاد المغرب بل خصص جزء من كتابه لتحديد هذه البلاد والمدن الواقعة ضمنها، نزولاً عند رغبة مولاه من خلفاء الموحدين (قد يكون عبد الله العادل بن يعقوب المنصور ٦٢١_٦٢٤ هـ/ ١٢٢٤_١٢٢٧ م)، فيقول: «وقد رسم مولانا أن يضاف إلى هذا التصنيف ذكر أقاليم المغرب وتعيين مدنه وتحديد ما بينها من المراحل عددًا من مدن برقة إلى السوس الأقصى، وذكر جزيرة الأندلس، فلم ير المملوك بدًا من الجري على العادة في سرعة الإجابة وامتثال مرسوم الخدمة، مع أن هذا الباب خارج عن مقصود هذا التصنيف، وداخل في باب المسالك والممالك، وقد وضع الناس فيه كتبًا كثيرة»، المراكشي عبد الواحد، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، مصر، ١٩٩٤، ص: ٢٨١

(10) نفس المصدر، ص: ٢٩٤.

(11) الإدريسي، المصدر السابق، ص: ١٦١.

(12) انظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص: ٩٠، البكري، المصدر السابق، ج ٠٢، ص: ٢٥١.

(13) انظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص: ٩٠، الإدريسي، المصدر السابق، ص: ١٥٤، الاستبصار، ص: ١٧١، الحميري، المصدر السابق، ص: ٣٤٣، ٥٤٧، الدمشقي، المصدر السابق، ص: ٢٣٧.

(14) ابن حوقل، المصدر السابق، نفس الصفحة، البكري، المصدر السابق، ج ٠٢، ص: ٢٥٨، الإدريسي، المصدر السابق، نفس الصفحة، الحميري، المصدر السابق، ص: ٢٢٣، الدمشقي، المصدر السابق، نفس الصفحة.

(15) ابن حوقل، المصدر السابق، نفس الصفحة، الإدريسي، المصدر السابق، ص: ١٥٢.

(16) البكري، المصدر السابق، ج ٠٢، ص ص: ٢٥١ - ٢٥٢، الحميري، المصدر السابق، ص: ٥٥٨، أبو الفدا، المصدر السابق، ص: ١٢٦، ابن سعيد المغربي، **كتاب الجغرافيا**، تحقيق: اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة ٠٢، ١٩٨٢، ص: ١٤٢.

(17) ابن حوقل، المصدر السابق، ص: ٧٧، الإدريسي، المصدر السابق، ص ص: ١٥٢-١٥٣، **الاستبصار**، ص: ١٣٣، ابن سعيد، المصدر السابق، نفس الصفحة، الحميري، المصدر السابق، ص: ١٣٨.

(18) البكري، المصدر السابق، ج ٠٢، ص: ٢٤٢.

(19) الاصطخري أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، **مسالك الممالك**، دار صادر، بيروت، د.ت، ص: ٣٩، المقدسي شمس الدين أبو عبد الله محمد، **كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، دار صادر، بيروت، الطبعة ٠٢، د.ت، ص ص: ٢٢٨-٢٢٩، الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧،المجلد ٠٢، ص: ٠٨، **الاستبصار**، ص: ١٧٨،الحميري، المصدر السابق، ص: ١٢٦.

(20) البكري، المصدر السابق، ج ٠٢، ص: ٢٤٨.

(21) نفس المصدر، ص: ٢٥٢، الحميري، المصدر السابق، ص: ٤٧٠.

(22) الاستبصار، ص: ١٧٨.

(23) الإدريسي، المصدر السابق، ص: ١٥٠، **الاستبصار**، ص: ١٧٦-١٧٧، الحميري، المصدر السابق، ص: ١٣٥، ٣١٨، الدمشقي، المصدر

السابق، ص: ٢٣٧، أبو الفدا، المصدر السابق، ص: ١٣٧، العمري، المصدر السابق، ص: ٢٠٣.

(24) البكري، المصدر السابق، ج ٠٢، ص: ٢٦٠.

(25) ابن حوقل، المصدر السابق، ص: ٧٨، البكري، المصدر السابق، نفس الصفحة، **الاستبصار**، ص: ١٣٤، الدمشقي، المصدر السابق، ص: ٢٣٥.

(26) الحميري، المصدر السابق، ص: ٢٦-٢٧.

(27) المقدسي، المصدر السابق، ص: ٢٣٠، البكري، المصدر السابق، ج ٠٢، ص: ٢٣٠، الحميري، المصدر السابق، ص: ١١٤.

(28) الاستبصار، ص: ١٧٣.

(29) البكري، المصدر السابق، ج ٠٢، ص ص: ٢٣٣-٢٣٤، الاستبصار، ص: ١٢٧، الحميري، المصدر السابق، ص: ١١٥، الدمشقي، المصدر السابق، ص: ٢٣٥، أبو الفدا، المصدر السابق، ص: ١٤١.

(30) البكري، المصدر السابق، ج ٠٢، ص:٢٤٤، الإدريسي، المصدر السابق، ص:١٦٧، الحميري، المصدر السابق، ص:٤٨١، الدمشقي، المصدر السابق، ص:٢٣٧، أبوالفدا، المصدر السابق، ص: ١٣٩.

(31) البكري، المصدر السابق، ج ٠٢، ص: ٢٤٧، الاستبصار، ص: ١٣٢، الحميري، المصدر السابق، ص: ٥٢٣.

(32) البكري، المصدر السابق، ص: ٢٥٤.

(33) ابن حوقل، المصدر السابق، ص: ٨٩، المقدسي، المصدر السابق، ص: ٢٢٩، البكري، المصدر السابق، ج ٢، ص: ٢٦٣، الإدريسي، المصدر السابق، ص: ١٥٢، الحميري، المصدر السابق، ص: ٥١.

(34) ابن حوقل، المصدر السابق، ص: ٧٨، الإدريسي، المصدر السابق، ص: ١٥٣، الاستبصار، ص: ١٣٤، الحميري، المصدر السابق، ص: ٦١٢-٦١٣.

(35) اسماعيل العربي، «**العمران والنشاط الاقتصادي في عصر بني حماد**»، مجلة الأصالة، العدد ١٩، سنة ١٩٧٤، ص: ٣٣١.

(36) علوي مصطفى، **صورة المغرب الأوسط في كتابات الرحالة والجغرافيين المغاربة**، ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين/ ١٣-١٥م، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، ٢٠١٠-٢٠١١، ص: ٧٩.

(37) المصدر السابق، ص: ٧٦، الإدريسي، المصدر السابق، ص: ١٩٢.

(38) ابن حوقل، المصدر السابق، ص: ٨٤، البكري، المصدر السابق، ج ٠٢، ص: ٢٢٧، الإدريسي، المصدر السابق، ص: ١٧٧، الحميري، المصدر السابق، ص: ٧٦.

(39) ابن حوقل، المصدر السابق، ص: ٨٥، الإدريسي، المصدر السابق، ص: ١٦٤، الحميري، المصدر السابق، ص: ٣٨٧.

(40) موسى لقبال، «**ميزات بجاية وأهمية دورها في مسيرة تاريخ المغرب الأوسط في العصور الوسطى**»، مجلة الأصالة، العدد ١٩، سنة ١٩٧٤، ص: ٠٦.

(41) الإدريسي، المصدر السابق، ص: ١٦١.

(42) رشيد بورويبة، **الجزائر في تاريخ العهد الإسلامي، من الفتح إلى بداية العهد العثماني**، ج ٣، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤، ص: ٢٢٧.

(43) ابن حوقل، المصدر السابق، ص: ٧٦، الحميري، المصدر السابق، ص: ٥٣٩.

(44) الإدريسي، المصدر السابق، ص: ١٥٩، الحميري، المصدر السابق، ص: ٣٤٠.

(45) البكري، المصدر السابق، ج ٠٢، ص: ٢٥٧.

(46) الاستبصار، ص: ١٧٥.

(47) المصدر السابق، ص: ١٤٢.

(48) المصدر السابق، ص: ١٥٣.

(49) الاستبصار، ص: ١٣٣.

(50) المصدر السابق، ص: ١٦٢.

(51) الإدريسي، نفس المصدر، ص: ١٦٦، الحميري، المصدر السابق، ص: ٤٨٠.

(52) نفس المصدر، ص: ١٦٧، الحميري، المصدر السابق، ص: ٤٨١.

(53) هو أبو محمد عبيد الله، الملقب بالمهدي، في نسبه اختلاف كبير، كانت ولادته سنة تسع وخمسين، وقيل ستين، وقيل ست وستين ومائتين، بمدينة سلمية، وقيل بالكوفة، ودعي له بالخلافة على منابر رقادة والقيروان سنة سبع وتسعين ومائتين، وخرجت بلاد المغرب عن ولاية بني العباس، وهو من بنى المهدية بإفريقية سنة ثمان وثلاثمائة، ونسبت إليه، توفي سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة بالمهدية، ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، مصر، الطبعة ٠١، ١٩٤٨، ج ٢، ص ص: ٣٠١-٣٠٢.

(54) إسماعيل العربي، **العمران والنشاط الاقتصادي**، ص: ٣٣٢.

(55) المصدر السابق، ج ٠٢، ص: ٢٣٠، المقدسي، المصدر السابق، ص: ٢٣٠، الاستبصار، ص: ١٧٣، الحموي، المصدر السابق، المجلد ٠١، ص: ٤٢٢، ابن سعيد، المصدر السابق، ص: ١٢٦، الحميري، المصدر السابق، ص ص: ١١٣-١١٤، الدمشقي، المصدر السابق، ص: ٢٣٧، أبو الفدا، المصدر السابق، ص: ١٣٩.

(56) البكري، المصدر السابق، ج ٠٢، ص: ٢٥٤.

(57) نفسه، نفس الصفحة، الحميري، المصدر السابق، ص ص: ٤٠٠-٤٠١.

(58) الإدريسي، المصدر السابق، ص: ١٦٤، الاستبصار، ص: ١٧٢، الحميري، المصدر السابق، ص: ٣٨٧.

(59) الاستبصار، نفس الصفحة ، الحميري، المصدر السابق، ص: ٥٥٨.

(60) البكري، المصدر السابق، ج ٠٢، ص: ٢٥٥، الاستبصار، ص: ١٧٤، الحميري، المصدر السابق، ص: ١٤٢.

(61) الحموي، المصدر السابق، المجلد ٠٥، ص: ٣٧١، الحميري، المصدر السابق، ص: ٦٠٠.

(62) الإدريسي، المصدر السابق، ص: ١٦٠، ابن حوقل، المصدر السابق، ص: ٧٦، الحميري، المصدر السابق، ص: ٥٣٩.

(63) ابن حوقل، المصدر السابق، ص: ٧٧.

(64) ابن حوقل، نفسه، نفس الصفحة، الإدريسي، المصدر السابق، ص: ١٥٣، الحميري، المصدر السابق، ص: ١٣٨.

(65) ابن حوقل، المصدر السابق، ص: ٨٦.

(66) البكري، المصدر السابق، ج ٠٢، ص: ٢٤٨، الاستبصار، ص: ١٧٨، الحموي، المصدر السابق، المجلد ٠٢، ص: ٠٨، القزويني زكريا بن محمد بن محمود، **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٤، ص: ١٩٠، الحميري، المصدر السابق، ص: ١٢٦.

(67) الإدريسي، المصدر السابق، ص: ١٥٨، الحميري، المصدر السابق، ص: ٣٤٠.

(68) ابن حوقل، المصدر السابق، ص: ٩٣، المقدسي، المصدر السابق، ص: ٢٣٠، الإدريسي، المصدر السابق، ص: ١٦٥، الاستبصار، ص:١٧٢، الحميري، المصدر السابق، ص: ٥٧٩.

(69) البكري، المصدر السابق، ج ٠٢، ص: ٣٣٠، **الاستبصار**، ص: ١٦٣، الحميري، المصدر السابق، ص: ١٣٠.

(70) الإدريسي، المصدر السابق، ص: ١٧٠، الحميري، المصدر السابق، ص: ٣١٨، أبو الفدا، المصدر السابق، ص: ١٤١.

(71) العمري، المصدر السابق، ص: ٢٠٣.

(72) ابن حوقل، المصدر السابق، ص: ٧٦، الإدريسي، المصدر السابق، ص: ١٩٢.

(73) ابن حوقل، المصدر السابق، ص: ٨٥، الإدريسي، المصدر السابق، ص: ١٦٤.

(74) ابن حوقل، المصدر السابق، ص: ٨٦، البكري، المصدر السابق، ج ٠٢، ص: ٢٣٩، الإدريسي، المصدر السابق، ص: ١٥٦.

(75) البكري، المصدر السابق، ص: ٢٤٧.

(76) البكري، نفسه، ص ص: ٢٥١-٢٥٢.

(77) الإدريسي، المصدر السابق، ص: ١٦٤.

(78) المصدر السابق، ص ص: ١٤٠-١٤١.

(79) نفسه، ص: ١٩٤.

(80) علوي مصطفى، المرجع السابق، ص: ٨٠.

(81) البكري، المصدر السابق، ج ٠٢، ص: ٢٣٤، الإدريسي، المصدر السابق، ص: ١٩٢، الحميري، المصدر السابق، ص: ١١٥.

(82) ابن حوقل، المصدر السابق، ص: ٧٦.

(83) من البرذون وهو الدابة، والأنثى برذونة، وجمعه براذين، والبراذين من الخيل: ما كان من غير نتاج العِراب، وبرذن الفرس: مشى مشي البراذين، وبرذن الرجل: ثقل، ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، د.ت، المجلد ١٣، ص: ٥١.

(84) ابن حوقل، المصدر السابق، ص: ٨٦.

(85) الإدريسي، المصدر السابق، ص: ١٥٧.

(86) المصدر السابق، المجلد ٠٢، ص: ٤٤، ولعل الحموي يقصد بالخيول الراشدية الخيول التي ينتجها إقليم بني راشد المعروف بإنتاج الجمال والخيل، انظر: الحسن الوزان، **وصف افريقيا**، دار الغرب الاسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٣، ج٠٢، ص: ٢٥.

(87) ابن حوقل، المصدر السابق، ص: ٨٥.

(88) نفس المصدر، ص: ٨٦، الإدريسي، المصدر السابق، ص: ١٥٦، الحميري، المصدر السابق، ص: ٥٥٨.

(89) الإدريسي، المصدر السابق، ص: ١٥٩، الحميري، المصدر السابق، ص: ١٦٣.

(90) الإدريسي، المصدر السابق، ص: ١٥٨، الحميري، المصدر السابق، ص: ٣٤٠.

(91) الحميري، نفسه، ص: ١٣٢.

(92) الإدريسي، المصدر السابق، ص: ١٥٣، الحميري، المصدر السابق، ص: ٦١٣.

(93) المصدر السابق، ص: ١٥٩.

(94) ابن حوقل، المصدر السابق، ص: ٧٧.

(95) ابن حوقل، نفس المصدر، ص: ٧٦، الإدريسي، المصدر السابق، ص: ١٩٢، الاستبصار، ص: ١٢٧، الحميري، المصدر السابق، ص: ١١٥.

(96) ابن حوقل، المصدر السابق، ص: ٨٦، الإدريسي، المصدر السابق، ص: ١٥٧، الحميري، المصدر السابق، ص: ١٢٦.

(97) الإدريسي، المصدر السابق، ص: ١٥٨-١٥٩، الحميري، المصدر السابق، ص: ٣٤٠.

(98) الإدريسي، المصدر السابق، ص: ١٦٦، الحميري، المصدر السابق، ص: ٤٨٠.

(99) الإدريسي، المصدر السابق، ص: ١٥٣، الحميري، المصدر السابق، ص: ٦١٣.

(100) الإدريسي، المصدر السابق، ص: ١٧٢، الحميري، المصدر السابق، ص ص: ٥٢١-٥٢٢.

(101) المصدر السابق، ص: ٧٥.

(102) الاستبصار، ص: ١٢٧.

(103) المصدر السابق، ص: ١٦٩.

(104) نفس المصدر، ص: ١٥٦.

(105) الاستبصار، ص: ١٧٩.

(106) خلف محمد نجيب، «**المغرب الأوسط في كتابة الرحالة والجغرافيين العرب**»، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر ١٩٥٤، الجزائر، ٢٠٠٧، ص: ٢٠٦.

(107) البكري، المصدر السابق، ج ٠٢، ص: ٣٢٩.

(108) المصدر السابق، ص: ٢٦٠، ابن حوقل، المصدر السابق، ص: ٨٤، الحموي، المصدر السابق، المجلد ٠٥، ص: ٥٦.

(109) المصدر السابق، ص: ١٩٤.

(110) المصدر السابق، ص: ٧٦، المقدسي، المصدر السابق، ص: ٢٢٦، الحموي، المصدر السابق، المجلد ٠١، ص: ٥١٢، الحميري، المصدر السابق، ص: ٦١٧، أبو الفدا، المصدر السابق،، ص: ١٤١.

(111) الإدريسي، المصدر السابق، ص: ١٩٢.

(112) البكري، المصدر السابق، ج ٠٢، ص: ٢٥٢، الحميري، المصدر السابق، ص: ٣٨.

(113) المصدر السابق، ج ٠٢، ص ص: ٢٦٨-٢٦٩.

(114) أبو حامد الغرناطي، **تحفة الألباب ونخبة الإعجاب**، تحقيق: اسماعيل العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، الطبعة ٠١، ١٩٩٣، ص: ٧٩.

(115) المصدر السابق، ص: ٧٥.

(116) القِنَّبُ والقُنَّبُ ضرب من الكتَّان، ابن منظور، المصدر السابق، ج ١، ص: ٦٩١.

(117) المصدر السابق، ص: ١٩١، ابن حوقل، المصدر السابق، ص: ٧٥، المقدسي، المصدر السابق، ص: ٢٣٩، الحموي، المصدر السابق، المجلد ٠٥، ص: ١٠٦، القزويني، المصدر السابق، ص: ٢٦١.

(118) المصدر السابق، ص: ١٤١، الوزان، المصدر السابق، ص: ٦٢.

(119) لمزيد من الاطلاع، انظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص: ١٩١، ابن حوقل، المصدر السابق، ص: ٧٥، المقدسي، المصدر السابق، ص: ٢٣٩، الحموي، المصدر السابق، المجلد ٠٥، ص: ١٠٦، القزويني، المصدر السابق، ص: ٢٦١.

(120) الإدريسي، المصدر السابق، ص: ١٩٢.

(121) شجر شائك من الفصيلة السدرية، يبلغ ارتفاعه ستة أمتار، ويطلق العناب على ثمره أيضا، وهو أحمر حلو لذيذ الطعم، **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، مصر، الطبعة ٠٤، ٢٠٠٤، ص: ٦٣٠.

(122) الحميري، المصدر السابق، ص: ١١٥.

(123) رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص: ٢٢٨.

(124) المربع: الخصيب، ومرع المكان والوادي مرعا ومراعة: أخصب وأكلأ، وأمرع القوم: أصابوا الكلأ فأخصبوا، وأرض أُمروعة أي خصيبة، وقد

أمرعت الأرض إذا شبع غنمها، وأمرعت إذا أكلأت في الشجر والبقل، وأمرعت الأرض إذا أعشبت، ابن منظور، المصدر السابق، ج ٨، ص: ٣٣٤-٣٣٥.

(125) الخرط: قشر الورق عن الشجر اجتذابا بالكف، وخرطت العود أخرطه وأخرطه خرطا: قشرته، وخرط الشجرة يخرطها خرطًا: انتزع الورق واللحاء عنها اجتذابا، ابن منظور، نفس المصدر، ج ٧، ص: ٢٨٤.

(126) البكري، المصدر السابق، ج ٢، ص: ٢٦٩.

(127) الإدريسي، المصدر السابق، ص: ١٦١.

(128) الاستبصار، ص: ١٣٠.

(129) موسى لقبال، المرجع السابق، ص: ٠٧.

(130) المصدر السابق، ج ٠٢، ص: ٢٣٤، الحميري، المصدر السابق، ص: ٥٣٨.

(131) موسى لقبال، المرجع السابق، نفس الصفحة.

(132) هو فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب المريني، أبو عنان، المتوكل على الله: من ملوك الدولة المرينية بالمغرب، ولد في فاس سنة (٧٢٩ هـ/ ١٣٢٩م) وبها نشأ، وولاه أبوه إمارة تلمسان ثم ثار على أبيه، وبويع في حياته سنة ٧٤٩ هـ، ولما مات أبوه سنة ٧٥٢ هـ استتب أمره، فبدأ بإخضاع بني عبد الواد وكانوا ملوك زناتة في تلمسان، فقاتلوه فظفر بهم ودخل تلمسان، وانتظم له أمر المغرب الأوسط، وقصد افريقية سنة ٧٥٨هـ فانتزع قسنطينة وتونس من أيدي الحفصيين، ثم عاد إلى فاس، ومرض أياما فدخل عليه وزيره الحسن بن عمر الفودودي فقتله خنقا سنة (٧٥٩هـ/ ١٣٥٨م)، الزركلي خير الدين، الأعلام: **قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة ١٥، ٢٠٠٢، ج٠٥، ص: ١٢٧.

(133) هو ابراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن أسد بن موسى بن ابراهيم ابن عبد العزيز بن إسحاق بن أسد بن قاسم النميري، من أهل غرناطة، يكنى أبا اسحاق ويعرف بابن الحاج، أُرسم في كتابة الإنشاء عام أربعة وثلاثين وسبعمائة، رحل إلى المشرق عام سبعة وثلاثين وسبعمائة، فحج وقفل إلى إفريقية، فاستقر ببجاية مضطلعً بالكتابة والإنشاء، ثم انتقل إلى خدمة السلطان أبي الحسن المريني، ومن بعده ابنه أبي عنان، وبعد موته لحق بالأندلس، واستعمل في السفارة إلى الملوك، وولي القضاء والكتابة، من تواليفه: "كتاب المساهلة والمسامحة في تبيين طرق المداعبة والممازحة"، و"إيقاظ الكرام بأخبار المنام"، و"تنعيم الأشباح بمحادثة الأرواح"، و"الوسائل ونزهة المناظر والخمائل"، و"الزهرات وإجالة النظرات"، و"نزهة الحدق في ذكر الفرق"، و"اللباس والصحبة" في طرق المتصوفة، وله تأليف سماه بفيض العباب، وإجالة قداح الآداب، في الحركة إلى قسنطينة والزاب، وكان مولده بغرناطة عام ثلاثة عشر وسبعمائة، ابن الخطيب لسان الدين، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة ٠٢، ١٩٧٣، المجلد ٠١، ص: ٣٤٢-٣٦٢.

(134) النميري ابن الحاج، **فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب**، دراسة وإعداد: محمد ابنشقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة ١٩٩٠،١، ص:٢٦٦.

(135) المصدر السابق، المجلد ٠٢، ص: ٤٤.

(136) الاستبصار، ص: ١٧٠.

(137) يُقال ثوب صفيق: متين بيِّن الصفاقة، وقد صفُق صفاقة: كثف نسجه، وثوب صفيق وسفيق: جيد النسج، ابن منظور، المصدر السابق، ج ١٠، ص: ٢٠٤.

(138) المصدر السابق، المجلد ٠٤، ص: ٣٩٠.

(139) الاستبصار، ص: ١٢٩.

(140) الزهري أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، كتاب الجغرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د.ت، ص ص: ١١٣-١١٤.

(141) بسام كامل عبد الرزاق شقدان، **تلمسان في العهد الزياني (٦٣٣-٩٦٢ هـ/ ١٢٣٥-١٥٥٥م)**، رسالة ماجيستير في التاريخ، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٢، ص: ١٨٧.

(142) المصدر السابق، المجلد ٠٢، ص: ٤٤.

(143) لخضر العربي، **الحرف في مدينة تلمسان على العهد الزياني (٦٣٣ هـ/ ١٢٣٥م – ٩٦٢هـ/ ١٥٥٤م)**، مذكرة ماجيستير في التاريخ الوسيط، جامعة معسكر، ٢٠١٠-٢٠١١، ص: ٩٣.

(144) المصدر السابق، ص: ١٤٠.

(145) لخضر العربي، المرجع السابق، ص: ٩٤.

(146) نفس المرجع، نفس الصفحة.

(147) المصدر السابق، ج ٢، ص: ٢٣٨.

(148) نوع من العوسج، وهو صنفان: جبلي وريفي، فالجبلي هو الأمبرباريس (العوسج الأصفر)، وتعلو هذه الشجرة قدر القامة وأكثر، وهي خشبية كثيرة الأغصان، ورقها يشبه ورق الآس، والريفي المعروف بالعوسج الأسود، شجرة تعلو نحو القامة وأكثر، مشوكة العود، ذات ورق يشبه ورق الكتم، الإشبيلي أبو الخير، **عمدة الطبيب في معرفة النبات**، تحقيق: محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة ٠١، ١٩٩٥، ج ٠١، ص ص: ٥٧-٥٩.

(149) قنطوريون: من جنس البقل المستأنَف، وهو صغير وكبير، والكبير اختلف فيه، قال بعض الأطباء: هو فول الحمام، وقال آخرون: هو القوسِيَّة، وقيل الياسمين الجبلي، الغساني أبو القاسم بن محمد بن إبراهيم، **حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار**، تحقيق: محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة ٠٢، ١٩٩٠، ص: ٢٣٠.

(150) من جنس الجنبة، وله نوعان: مدحرج وطويل، فالمدحرج منابته في الجبال، والطويل أصفر اللون عطر الرائحة، منابته السهول في التربة المختلطة بالرمل، نفس المصدر، ص: ١٠٤.

(151) هو من جنس التِّمنس، والتمنس هو ما ليس بشجر ولا بقل وقيل يلحق بالشجر الصغير، وعند بعض الأطباء هو صنف من أصناف الشيح الرومي، وقيل أوراق الصعتر، نفس المصدر، ص: ١١.

(152) المصدر السابق، ص ص: ١٦٠-١٦١.

(153) المصدر السابق، ص: ١٥٣.

(154) نفس المصدر، ص: ١٥٩.

(155) رشيد بورويبة، «**عنابة من الفتح الإسلامي إلى أواخر العهد الموحدي**»، مجلة الأصالة، العدد (٣٤/٣٥)، سنة ١٩٧٦، ص: ٧٣.

(156) المصدر السابق، ص: ٧٥-٧٦، البكري، المصدر السابق، ج٠٢، ص: ٢٣٤، الإدريسي، المصدر السابق، ص: ١٩٢، الحميري، المصدر السابق، ص: ١١٥.

(157) المصدر السابق، ص: ١٩٠-١٩١، ابن حوقل، المصدر السابق، ص: ٧٥، الحموي، المصدر السابق، مج ٥، ص: ١٠٦، القزويني، المصدر السابق، ص: ٢٦١، الحميري، المصدر السابق، ص: ٥٣٨.

(158) اسماعيل العربي، **العمران والنشاط الاقتصادي في الجزائر...**، ص: ٣٤٣.

(159) المصدر السابق، ج ٠٢، ص: ٢٢٦، الحميري، المصدر السابق، ص: ٤٦٩.

(160) عن اختيار موقع هذه المدينة، انظر: الحموي، المصدر السابق، المجلد ٠١، ص: ٣٣٩.

(161) المصدر السابق، ص: ١٦٢.

(162) نفس المصدر، ص: ١٦١.

(163) المصدر السابق، ص: ٧٧.

(164) البكري، المصدر السابق، ج ٠٢، ص:٢٥٩، الحميري، المصدر السابق، ص:١٣٥، العمري، المصدر السابق، ص:٢٠٣، الوزان، المصدر السابق، ص: ٢٣.

(165) المصدر السابق، ص ص: ١٥٠-١٥١.

(166) بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص: ١٩٢.

(167) علوي مصطفى، المرجع السابق، ص: ٨٣.

(168) هو محمد بن محمد بن علي بن أحمد، أبو عبد الله الحاحي العبدري: صاحب الرحلة المعروفة باسمه، أصله من بلنسية ونسبه إلى بني عبد الدار، كان من سكان بلدة حاحة بالمغرب، توجه منها حاجًا سنة ٦٨٨ هـ، وليس في المصادر ذكر لسنة وفاته، وقد تكون نحو سنة (٧٠٠ هـ/ ١٣٠٠م)، الزركلي، المرجع السابق، ج ٠٧، ص:٣٢.

(169) هو خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم البلوي الأندلسي (أبو البقاء)، فقيه، رحالة، ولد بقرطبة، وتولى القضاء، من آثاره: تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، وهي رحلته إلى الحجاز التي ابتدأت سنة ٧٣٥ هـ، وانتهت سنة ٧٤٠ هـ، عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، تراجم مصنفي الكتب العربية، مؤسسة الرسالة، د.م، د.ت، ج ٠١، ص: ٦٦٨.

(170) للمزيد من الاطلاع انظر: العبدري أبو عبد الله محمد، **الرحلة المغربية**، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، ٢٠٠٧، ص: ٢٧-٢٨، البلوي خالد بن عيسى، **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق**، تحقيق الحسن السائح، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي، المغرب، الإمارات العربية المتحدة، د.ت، ج: ٠١، ص ص: ١٤٨-١٤٩.

(171) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله، ابن بطوطة: رحالة، ولد ونشأ في طنجة، وخرج منها سنة ٧٢٥ هـ، فطاف بلاد المغرب ومصر والشام والحجاز والعراق وفارس واليمن والبحرين وتركستان وما وراء النهر وبعض الهند والصين وبلاد التتر وأواسط افريقيا، واتصل بكثير من الملوك والأمراء، عاد بعدها إلى بلاده فانقطع إلى السلطان أبي عنان وأملى أخبار رحلته على محمد بن جزي الكلبي بمدينة فاس سنة ٧٥٦ هـ، استغرقت رحلته ٢٧ سنة (١٣٢٥_١٣٥٢)، مات في مراكش سنة (٧٧٩ هـ/ ١٣٧٧م)، الزركلي، المرجع السابق، ج ٠٦، ص: ٢٣٦، وانظر ترجمته في: البغدادي اسماعيل باشا، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت، المجلد ٠٢، ص: ١٦٩، عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، ج ٠٣، ص: ٤٥١-٤٥٢، وعن رحلته انظر: أسماء أبو بكر محمد، ابن بطوطة، **الرجل والرحلة**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة ٠١، ١٩٩٢، ص: ٣٥-٩٢.

(172) ابن بطوطة أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تحقيق: علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، د.م، د.ت، ج ٠١، ص: ٣٠-٣١.

(173) نفس المصدر، ص: ٣١.

(174) الإدريسي، المصدر السابق، ص: ١٩٧، ابن سعيد، المصدر السابق، ص: ١٢٦، الوزان، المصدر السابق، ص: ١٣٦.

(175) لمزيد من الاطلاع، انظر: البكري، المصدر السابق، ج ٠٢، ص ص: ٢٦٦-٢٦٩.

(176) الاستبصار، ص: ١٣٠.

(177) المصدر السابق، ص: ٧٨، الإدريسي، المصدر السابق، ص: ١٥٣، الحميري، المصدر السابق، ص: ٦١٣، الوزان، المصدر السابق، ص: ٣١.

(178) نستشف ذلك من خلال رحلة البلوي حيث عبر البحر من الأندلس إلى المغرب نزولا بمرسى هنين، البلوي، المصدر السابق، ص: ١٤٨.

(179) الجيلالي صاري، «**أضواء على أحد موانئ دولة بني زيان "هنين"**»، مجلة التاريخ، العدد ٢١، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، ١٩٨٦، ص: ١٧-٢٠، وانظر وصف الميناء عند الوزان، المصدر السابق، ص: ١٥.

(180) المصدر السابق، ج ٠٢، ص: ٢٢٨.

(181) المصدر السابق، ص: ١٥٥.

(182) نفس المصدر، ص: ١٧٢.

(183) خلف محمد نجيب، المرجع السابق، ص: ٢٠٧.

(184) عبد القادر زمامة، «**المغرب في جغرافية ابن حوقل**»، مجلة البحث العلمي، العدد (١٩)، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، سنة ١٩٧٢، ص: ٩٠.

(185) لمزيد من الاطلاع على هذه الشبكة من الطرق، انظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص: ٨٥-٩٠.

(186) البكري، المصدر السابق، ج ٠٢، ص: ٢٢٧-٢٢٩.

(187) نفس المصدر، ص: ٢٣٩-٢٤١.

(188) نفسه، ص: ٢٤٦.

(189) نفسه، ص: ٢٤٧.

(190) نفسه، ص: ٢٥١-٢٥٢.

(191) نفسه، ص: ٢٥٣-٢٥٨.

(192) نفسه، ص: ٣٢٦-٣٣٠.

(193) الادريسي، المصدر السابق، ص: ١٥١-١٥٢.

(194) نفس المصدر، ص: ١٥٥.

(195) نفسه، ص: ١٥٧.

(196) خلف محمد نجيب، المرجع السابق، ص: ٢١٩.

(197) ناصر الدين سعيدوني، «**المسالك والدروب في الهضاب العليا لقسنطينة ودورها الحضاري أثناء الفترة الإسلامية**»، مجلة الثقافة، العدد ٨٠، الجزائر، سنة ١٩٨٤، ص: ١٢٩.

(198) نفس المرجع، ص: ١٢٨-١٣٠.

(199) يقول صاحب كتاب الاستبصار: «وبادس بالقرب منها قيطون بياضة وهو أول بلاد سماطة ومنه تفترق الطرق إلى بلاد السودان وإلى القيروان وإلى بلاد الجريد وطرابلس وغيرها، وقيطون بياضة قرية

كبيرة فيها تجتمع الرفاق، ومنها تخرج إلى جميع البلاد، وهي آخر بلاد الزاب» الاستبصار، ص: ١٧٥.

(200) سعيدوني، **المسالك والدروب في الهضاب العليا لقسنطينة**، ص: ١٢٩.

(201) خلف محمد نجيب، المرجع السابق، ص: ٢١٩-٢٢٠.

(202) اللبد واحد اللبود، وهو من البسط، وكذلك لِبد السرج، وألبد السرج: عمل له لبدا، ابن منظور، المصدر السابق، المجلد ٠٣، ص: ٣٨٦.

(203) المصدر السابق، ص: ٤٥.

(204) المصدر السابق، ص: ٩٧.

(205) المصدر السابق، ص: ١٤٠.

(206) المصدر السابق، ص: ١٩٧.

(207) المصدر السابق، ص: ١٢٦.

(208) المصدر السابق، ص: ٣٩.

(209) رشيد بورويبة، **الجزائر في تاريخ العهد الإسلامي**، ص: ٢٣٢.

(210) نفس المرجع، ص: ٢٣١.

(211) المصدر السابق، ص: ٢٤٠.

(212) المصدر السابق، ج ٠٢، ص: ٢٤٣.

(213) نفس المصدر، ج ٠٢، ص: ٢٥٠.

(214) نفسه، ج ٠٢، ص: ٢٦١.

(215) نفسه، ج ٠٢، ص: ٣٢٩.

(216) ابن الخطيب لسان الدين، **كتاب معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار**، تحقيق: محمد كمال شبانة، صندوق إحياء التراث الإسلامي، المغرب، الإمارات العربية المتحدة، ١٩٧٦، ص: ١٨٤.